مرويات الإمام جعفر الصادق
في تفاسير أهل السنة

إعداد
دكتور/ عبد الشافي أحمد على أحمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين
جامعة الأزهر بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، سبحانه لم تكن له صاحبة ولا ولد، جـلَّ من إله خلق كلّ شيء فقدره تقديرا، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رءوفا رحيما، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

لا شـك أن الله تعالـى أراد الخير كل الخير بأمة محمد ﷺ فادخر لها أفـضل نبـيّ، وحباها بأعظم كتبه وأشرفها وأكملها، فاصطفاها من دون الأمم لتكون مهبط القرآن الكريم، وفى هذا من التكريم والتشريف ما فيه.

وقد استقر فى قلوب المؤمنين أن القرآن الكريم ليس مجرد معجزة وقتية تنتهى بموت النبى ﷺ كالحال فى المعجزات السابقة، بل هو المنهج السرمدى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذا حظى القرآن الكريم بعناية لم يحظ بها كتاب سبق، فمنذ عصر النبوة وقد انبرى من كل جيل أناس وهبوا أنفسهم لخدمة كتاب الله تعالى، ووقفوا جهدهم وأوقاتهم وما يملكون لهذا الغرض.

وقد نبغ فى كل عصر علماؤه وفى كل مجال فرسانه، ومن هؤلاء العلماء وأولئك الفرسان الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه، فقد كان مرجعا للعلم فى عصره.

ومكانته لا تخفى إلا على غافل أو جاحد.

ولما كان أهل التشيّع فى عصرنا يتهمون أهل السنة وعلماءهم بأنهم ضيّعوا ميراث أهل البيت رضوان الله عليهم، كما يدعون حبَّهم من دوننا، ونشهد الله تعالى أن أهل السنة يدينون لله بحب آل البيت كيف لا وقد قال تعالى:" قل ما أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ".

ولكن الفرق بين محبتنا ومحبة غيرنا لهم، أن محبتنا لهم محبة معتدلة لا تخرج الأشياء عن نصابها الحقيقى، فمحبتنا لآل البيت مضبوطة بضوابط الشرع المجمع عليها، كالحال فى محبة النبى ﷺ ذاته فهى محبة دون إفراط أو تفريط، وقد رأينا أن بعض النصارى لما أفرطوا فى محبة المسيح عليه السلام جعلوه إلها من دون الله، وليس معنى هذا أننا نبغض المسيح لتأليهه من دون الله فالعيب ليس فيه ولكن فيمن انحرف فى محبته وأخرجه عن دائرة البشرية، والحال أيضا مع آل البيت فالشيعة وإن أفرطوا فى محبة آل البيت فليس هذا مسوغا لنا فى بغضهم أو ترك ما صح نقله عنهم.

فعلماء آل البيت معروفون ولهم قدرهم ومكانتهم العالية عند علماء أهل السنة، ومن هذه الرؤية جاءت فكرة البحث بأن أجمع ما روى عن الإمام جعفر الصادق من مرويات فى التفسير من خلال ما ذكره عنه مفسرو أهل السنة فى كتبهم، ردا على الشيعة فى افترائهم على علماء أهل السنة أنهم ضيعوا تراث آل البيت.

وقد آثرت جمع المرويات من كتب أهل السنة لسببين:

أولهما: حتى تتم الحجة على الشيعة بأن أهل السنة لم يهملوا تراث آل البيت وهم أولى من الشيعة بهم.

ثانيهما: أن مرويات الشيعة على الإمام جعفر لا تخلوا من الكذب والافتراء تحقيقا لأهدافهم، جاء في كتاب (أصول الكافي) وهو من أمهات كتب الشيعة: عن الإمام جعفر الصادق أنه أقسم بالله أن آية:" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ " نزلت هكذا (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فَنَسِيَ)[1]. وهذا لا شك محض افتراء وبهتان على هذا الإمام الفذ من أئمة آل البيت الكرام. وليس من مهام البحث بيان افتراء الشيعة على أئمة آل البيت فهذا مراس له رجاله وما ذكرته غيض من فيض أردت فقط أن أدلل على افترائهم على علماء آل البيت.

هذا وقد جاء البحث فى مقدمة وفصلين وخاتمة.

- المقدمة: وفيها سبب اختيارى للموضوع وطريقتى فى البحث.
- الفصل الأول: وفيه ترجمة مختصرة للإمام جعفر.
- الفصل الثانى وفيه عدة مسائل كالآتى:
- المسألة الأولى: تقدير مفسرى أهل السنة للإمام جعفر.
- المسألة الثانية: حسن معايشته لكتاب الله.
- المسألة الثالثة: القراءات عند الإمام.
- المسألة الرابعة: موقف الإمام من المبهمات.
- المسألة الخامسة: العقيدة عند الإمام.
- المسألة السادسة: الفقه وأصوله عند الإمام.
- المسألة السابعة: اللغة عند الإمام.
- المسألة الثامنة: أقوال الإمام وفرائده.
- المسألة التاسعة: النزعة الصوفية لدى الإمام.
- الخاتمة وضمنتها أهم النتائج والتوصيات التى توصلت إليها الدراسة.

---

(١) نقلا عن كتاب الأزهر والشيعة شقاق لا وفاق لكاتبه شحاتة محمد صقر ص ١٢ .

الفصل الأول

ترجمة الإمام جعفر

نسبه: الإمام جعفر هو ابن الأكرمين علم من أعلام آل البيت، مرجع من مراجع العلم فى عصره، نسبه هو النسب الشريف الزكي فهو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى العلوى.(٢)

أمه: ذكر الذهبى أن اسم امه " فروة ابنة القاسم بن محمد بن أبى بكر، ثم يعلق على هذا النسب بقوله: فهو علوى الأب بكرى الأم ولم يختلف فى اسم أمه إلا أن العصامى ذكر أنها: فريوة وليس فروة والأصح ما ذكره الذهبى لتضافر الأقوال به واسم أمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر، ولهذا كان الإمام جعفر يقول: ولدنى الصديق مرتين. فهو ينتسب لأبى بكر من جهة ولده محمد ومن جهة عبد الرحمن.

ولادته:

ولد رحمه الله بالمدينة يوم الاثنين لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثمانين من الهجرة المباركة، وهى سنة سيل الجحاف الموافقة لسنة تسع وتسعين بعد الستمائة من الميلاد، وقيل بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين من الهجرة.

عمّر ثمان وستين سنة، أقام منها مع جده علي زين العابدين اثنتي عشرة سنة وأياماً، ومع أبيه محمد الباقر ثلاث عشرة سنة وأياماً، وبقي بعد موت أبيه أربعاً وثلاثين سنة وهي مدة إمامته.

---

(٢) راجع فى نسبه الشريف وفيات الأعيان ١/ ٣٢٧، تهذيب التهذيب لابن حجر ١/ ١٠٩، شذرات الذهب لابن العماد ١/ ٢٠، العبر فى خبر من غبر للذهبى ١/ ٣٨، غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٨٥، سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى للعصامى ٢/ ٣٤٨، سير أعلام النبلاء للذهبى ٦/ ٢٦٣، الأعلام للزركلى ٢/ ١٢٦ وغيرها.

أمـــا وفاته فقد أجمع كل من ترجم للإمام أن وفاته كانت فى شوال سنة ثمـــان وأربعـــين بعـــد المائة،الموافقة لسنة خمس وستين وسبعمائة بعد الميلاد، وكانت وفاته بالمدينة، يقال: مات بالسم في زمن المنصور، ودفن جثمانه الطاهر بالبقيع فى قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن على رضى الله عنهم أجمعين فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه.(٣)

لقبه وكنيته:

كان الإمام رحمه الله يكنى بأبى عبد الله وقيل بأبى إسماعيل، وأما ألقابه فكثيـــرة مـــنها: الفاضل، الطاهر، وأشهرها الصادق ولقب به لصدقه فى مقاله، وكان يقال له عمود الشرف.

أولاده: أولاده سبعة، وقيل أكثر، العقب منه في خمسة رجال، وهم الإمام موســـى الكاظم وإسماعيل وعلي العريضي، ومحمد المأمون وإسحاق، وبنواحي أهـــل خراسان قوم ينسبون إلى ناصر بن جعفر وهم أدعياء كذابون لا محالة ، فليس له ابن اسمه ناصر معقب ولا غير معقب بإجماع أهل النسب.

شيوخه وتلاميذه:

كـــان الإمـــام رحمه الله ممن تربوا فى أحضان العلم وأشربوا حبه منذ نعـــومة أظفارهم، وهو وارث بيت النبوة ولذا لا غرو أن نجد وفرة فى شيوخه وتلامـــيذه فقـــد روى عن أبيه الباقر، وعروة بن الزبير وعطاءٍ ونافع والزهري وابن المنكدر وله أيضاً رواية عن عبيد بن أبي رافع. وقال الشهرزوري وغيره إنه قرأ على أبي الأسود الدؤلي.

وذلك وهم، فإن أبا الأسود توفي سنة تسع وستين وذلك قبل ولادة جعفر الصادق بإحدى عشرة سنة على الأقل.

---

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٣٢٨، سمط النجوم للعصامى ٢/ ٣٤٨ .

وحدث عنه أبو حنيفة وابن جريج وشعبة والسيانان ومالك ووهيب وحاتم بن إسماعيل ويحيى القطان وخلق غيرهم كثيرون أخرهم وفاة أبو عاصم النبيل، ومـــن تلاميذه أيضا الكسائى وحمزة وهما من القراء السبعة، ولم يخالف حمزة فـــي شيء من قراءته إلا في عشرة أحرف يقول حمزة: قرأت على أبي عبد الله جعفر الصادق القرآن بالمدينة فقال ما قرأ علي أقرأ منك ثم قال لست أخالفك في شـــيء مـــن حـــروفك إلا في عشرة أحرف فإني لست أقرأ بها وهي جائزة في العربية.(٤)

وروى له عدد ممن جمعوا سنة النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم الإمام مـــسلم وأبـــو داود والتـــرمذي والنسائي وابن ماجة والبخارى فى الأدب المفرد والتاريخ.

أقـــوال أهـــل العلم فيه: كان رحمه الله من أجلاء التابعين وثقة يحيى بن معين والشافعي وجماعة. وقال أبو حاتم:ثقة لا يسأل عن مثله. وقال أبو حنيفة:ما رأيـــت أفقـــه من جعفر بن محمد كان يقول: سلوني قبل تفقدوني فإنه لا يحدثكم بعـــدي بمـــثل حديثي وله رحمه الله منزلة رفيعة فى العلم.(٥) قال عنه الذهبى:" جعفر ثقة صدوق من جلة علماء المدينة حدث عنه الأئمة وأحسبه رأى أنس بن مالك وسهل بن سعد " (٦)

صفاته:

كـــان رحمه الله سخيا كثير العطاء حتى قال عنه البعض أنه كان يطعم فلا يبقى لعياله شيء، كما كان شجاعا صداعا بالحق لا يخشى إلا الله جريئا فى دين الله له أخبار مع الخلفاء من بنى العباس

---

(٤) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٨٥ .

(٥) الوافى بالوفيات للصفدى ٤/ ٢٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥.

حبه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما:

الإمـــام رحمـــه الله كسائر المسلمين المعتدلين لا يُكِنّ لأحد من الصحابة عامة وأبى بكر وعمر خاصة إلا كل تقدير وعرفان، وإن نسب إليه غير هذا فهو محـــض افتـــراء عليه من الشيعة الروافض، والحق أن الرجل كان يغضب من الرافضة إذا علم أنهم يتعرضون لأبى بكر ظاهرا أو باطنا وهو ما ذكره صاحب سير أعلام النبلاء.(٧)

وفـــى تفـــسير قوله تعالى:"وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُـــهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ".

يـــورد أبـــو حـــيان أن النبى عليه السلام، طاف بالبيت، فحين فرغ أخذ بمجامـــع ردائه، فقالوا: له أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا ؟ فقال: أنا ذاك، فقـــام أبو بكر، رضي الله عنه، فالتزمه من ورائه وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربـــي الله، وقـــد جاءكم بالبينات من ربكم»، رافعاً صوته بذلك وعيناه تسفحان بالدموع حتى أرسلوه. وعن جعفر الصادق: أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرًّا، وأبو بكر قاله ظاهراً.(٨)

فأورد أبو حيان والزمخشرى عن الإمام جعفر ما يؤكد تقدير الإمام لأبى بكر وليس كما يفترى الرافضة ويختلقون من خلافات بين الصحابة وآل البيت.

وقـــد أخرج الدار قطنى عن جعفر الصادق أنه قال: ما أرجو من شفاعة عليّ ضيئاً؛ إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، ولقد ولدني مرتين.

---

(٧) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥ .

(٨) البحر ٩/ ٤١٣ الكشاف ٦/ ١٠٨ .

كما أخرج الدارقطني أيضا عن سالم بن أبي حفصة، وهو شيعي– لكنه ثقة – قال: سألت أبا جعفر محمد بن على وجعفر بن محمد، عن الشيخين؛ فقالا: يا سالم، تولهما وابرأ من عدوهما؛ فإنهما كانا إمامَي هدَى.وفى رواية: أيسب الرجل جَدَهُ ؟! أبو بكرٍ جدي، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما.

وعنه: دخلتُ على جعفر بن محمد، وهو مريض، فقال: اللهم إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما، اللهم إن كان في نفسي غير هذا، فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.(٩)

بهذه النصوص التى أوردناها وغيرها يتأكد أن الإمام رحمه الله لم يخض مع الشيعة فى بغض الصحابة وسَبِّهم كما خاضوا، ولم يعرف عنه تجاههم إلا الحب والتقدير بل كان ينعى على أمثال هؤلاء الذين خاضوا فى عرض الصحابة أو نالوا منهم. ولكن الرافضة يأبون إلا أن ينسبوا لهذا الإمام ما هو براء، فتحمل كتبهم العديد من القدح والسب فى الصحابة على لسان الأئمة الكبار ومنهم الإمام جعفر.

ولا يقف حد الكذب عليه عند حد سب الصحابة فقد أوضح الصفدى(١٠) أن الشيعة الروافض تكذب من أجل الكذب، لغرض وبلا غرض فتارة توقع العداوة والبغضاء بين الصحابة وآل البيت، وتارة تنسب لآل البيت ما هم منه براء، حتى المؤلفات والكتب تنسب لهم ما لا حجة لهم فيه، ويؤكد الصفدى أن الشيعة كذبت علي الإمام أشياء لم يسمع بها مثل: كتاب الجفر وهى رسائل فى الكيمياء، ويعلق عليها الصفدى بقوله:" وأنا أنزه الإمام جعفر الصادق رضي الله

---

(٩) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٤/ ٢٨٤ ط دار الفكر بيروت، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة للتغربردى ١/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء للذهبى ٤/ ٤٠٦.

(١٠) الوافى بالوفيات للصفدى ٤/ ٢٨.

عنه عن الكلام في الكيمياء، وإنما هذا الشيطان أراد الإغواء بكونه عزا ذلك إلى أن يقـوله مثل جعفر الصادق لتتلقاه النفوس بالقبول "، وكتاب اختلاج الأعضاء وغيرها من الكتب المنسوبة كذبا للإمام.

فطنته وسرعة بديهته:

تمـتع الإمـام بمـا يتمتع به الأئمة الأفذاذ دوما من الفطنة وحدة الذكاء وسرعة البديهة فى الردود والأجوبة الحصيفة وكتب التراجم مليئة بما يؤكد هذا القـول ومنها ما أورده الصفدى:أن جعفر الصادق سأل أبا حنيفة رضي الله عنه فقال: ما تقول في مُحْرِمٍ كسَر رُباعية ظبي ؟ فقال: يا بن رسول الله ما أعلم فيه شيئاً فقال له أنت تداهي، أولا تعلم أن الظبي لا تكون له تكون رباعية، وهو ثَنِيّ أبداً(١١).

وقال أمير المؤمنين -أبو جعفر المنصور- لعمرو بن عبيد: يا أبا عثمان ما عندك عن النبي صلى الله عليه وسلم في اتخاذ الكلب ؟ فقال عمرو: روي عن النبـي صـلى الله عليه وسلم أنه قال: من اتخذ كلباً لغير حراسة زرع أو ماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان. قال ولم ذلك ؟ قال لا أدري هكذا جاء الحديث. فأقبل أبو جعفر على أبي عبد الله جعفر الصادق فقال: يا أبا عبد الله ما عندك في هذا ؟ فقال أبو عبد الله يا أمير المؤمنين خذ العلم بحقه من معدنه، إنما ذلك لأنه ينبح على الضيف ويرد السائل

وقـيل أن الـذباب وقع على المنصور فذبّه عنه فعاد فذبّه حتى أضجره فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب ؟ فقال: ليذل به الجبابرة.(١٢)

---

(١١) ذكر الدميرى فى حياة الحيوان الظبي لا تثبت له ثنية قط، فهو ثني أبداً ٢/ ١٤١.

(١٢) الوافى بالوفيات ٤/ ٢٨ ، وفيات الأعيان لا بن خلكان ١/ ٣٢٨.

الفصل الثانى

المسألة الأولى: تقدير مفسرى أهل السنة للإمام جعفر:

إن تقدير أهل السنة علماء وعوام لأهل البيت أمر لا جدال فيه ولا يحتمل المزايدة عليه فحبهم وتقديرهم دين ندين الله به ولولا أن البعض يقتات على مواطن الشبهات لما كان فى تقرير هذه الحقيقة أهمية تذكر، وقد أخذ تقدير أهل السنة لآل البيت أشكالا وصورا عديدة تتبعتها فى كتب تفسير أهل السنة على النحو التالى:

- فى بعض المواطن من تفسير كتاب الله تعالى نجد شبه إجماع من المفسرين على إيراد مقوله مأثورة عن الإمام جعفر وهذا لا شك لون من التقدير لعلم ومقام الإمام فى نظر مفسرى أهل السنة فعند تفسير قوله تعالى:" فاستجاب لهم ربهم "[١٣] نقل جمهور أهل السنة من المفسرين قول الإمام جعفر:": من حزبه أمرٌ فقال خمس مرات " ربَنا " نجّاه مما يخاف، وأعطاه ما أراد، قيل له: وكيف ذلك؟ قال اقرءوا:" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً...إلى قوله: " إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ"[١٤] ولقد تتبعت هذه المقولة فى كتب التفسير فوجدت عددا من المفسرين أوردوا له هذه المقولة.كالقرطبى والرازى والألوسى وغيرهم.[١٥]

فجمهور المفسرين ينقلون عنه هذه المقولة وكأنها من المسلمات فى هذا الموطن، وهو لا شك يجسد احترام الأئمة لآل البيت وتراثهم.

---

(١٣) آل عمران ١٩٥

(١٤) آل عمران ١٩٤

(١٥) القرطبى ٤/ ٣١٨،الالوسى ٣/ ٣٧٧، الرازى ٥/ ٢٦، البقاعى ١٥٨/٢، ابن عادل ٤/ ٤٩٢، النسفى ١/ ٢٠٣، النيسابورى ٢/ ٤١٩ الزمخشرى ١/ ٣٦٤، أبو السعود ٢/ ٢١، الخازن ٢/ ٢٣ ، الثعالبى ١/ ٢٨٠، ابن عاشور ٣/ ٣٨٣، القاسمى ٢/ ٢٧٣.

ويتكـــرر هـــذا الموقف من المفسرين عند تفسير قوله تعالى:" خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " [١٦] فيورد جمهور المفسرين[١٧] فيها عن الإمـــام جعفر:" أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمـــع لمكـــارم الأخلاق من هذه الآية. وقال صلى الله عليه وسلم: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١٨].

- يتجنى بعض أهل التشيع على علماء أهل السنة أنهم يتجاهلون تراثهم ولا يحدثـــون عـــنهم ولكن حقيقة الأمر على غير ما قالوا فقد أورد أهل السنة العديد والعديد من الآثار والأقوال المنسوبة لآل البيت، فهذا شيخ المفسرين ابـــن جريـــر الطبرى يورد فى سنده الإمام جعفر وقد تكرر هذا كثيرا فى تفسير ابن جرير نورد منه ما تقوم به الحجة.

فعند تفسير قوله تعالى:" واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى "[١٩] يقول ابن جريـــر:" حدثنا يوسف بن سلمان قال، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن، فـــرمل ثلاثـــا، ومـــشى أربعا، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ:"واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى". فجعل المقام بينه وبين البيت، فصلى ركعتين

---

(١٦) الأعراف ١٩٩ .

(١٧) القرطبـــى ٣٤٦/٧ ، الـــبغوى ٣/ ٣١٦، الألوســـى ٧/ ١،أبو حيان ٦/ ٢٠، الرازى ٧/ ٣٣٩، البقاعى ٣٢٧/٣، النيسابورى ٤/ ٤٩ الزمخشرى ٢/ ٣٢٧، أبو السعود ٣/ ٨٨، الخازن ٣/ ١٤٧.

(١٨) الـــسنن الكبـــرى للبيهقـــى برقم ٢١٣١٠، والمستدرك برقم ٤٢٢١، ومسند البزار برقم ٨٩٤٩ والجميع من حديث أبى هريرة.

(١٩) البقرة ١٢٥.

وفى ذات الآية يقول ابن جرير:" عمرو بن علي حدثنا قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال، حدثنا جعفر بن محمد قال، حدثني أبي، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ:"واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"..(٢٠)

وجعفر بن محمد المراد به الإمام جعفر كما أكد ذلك محقق كتاب ابن جرير الشيخ أحمد شاكر.

وفى قوله تعالى:" إن الصفا والمروة من شعائر الله "(٢١) يقول ابن جرير: " حدثني يوسف بن سلمان قال، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: لما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصفا في حجه قال:"إنّ الصفا والمروةَ من شَعائر الله"، ابدؤوا بما بدأ الله بذكره. فبدأ بالصفا فرَقِيَ عليه.(٢٢)

وما ذكرته قليل من كثير مما أورده ابن جرير فى تفسيره وأخذه بسند فيه الإمام جعفر كيف لا والإمام وثّقَهُ علماء الحديث قاطبة وعندما نجد كتابا عند أهل السنة يقل فى الإسناد عن جعفر فالعيب ليس فى الكتاب بقدر ما هو فى تلاميذ الإمام أو فيمن روى عن الإمام فقد لا يكون على درجة كافية من التوثيق فلا يحتج بالإسناد كله لوجود حلقة من حلقاته موصومة بالكذب أو التدليس أو غيره مما يرد به الحديث.

- ومن صور تقدير المفسرين للإمام جعفر أنه إذا اختلف مع الإمام فى قول من الأقوال أو مسألة من المسائل فلا يشنع به أو يبالغ فى رده أو يهاجمه بل نجد يفصح عن عدم رضاه بهذا القول فى أدب جم يتناسب مع علماء آل البيت ولكل أن يخطئ أو يصيب. فالعصمة لمن عصمه الله.

---

(٢٠) تفسير ابن جرير الطبرى ٢/ ٣٦.

(٢١) البقرة ١٥٨.

(٢٢) ابن جرير ٣/ ٢٤٣.

ففـــى تفسير قوله تعالى فى سورة الفاتحة:" الحمد لله رب العالمين "يورد القرطبـــى عـــن الإمام جعفر أن الحمد والشكر مترادفان فهما بمعنى واحد وهذا يخالـــف مـــا قـــال به القرطبى إلا أنه يعلق على قول جعفر ومن تبعه بأنه غير مرضى.(٢٣)

- إذا ورد ما هو غريب فى التفسير كالإسرائيليات ونسب إلى الإمام جعفر فنـــرى علمـــاء أهل السنة أول من ينفى نسبته للإمام ويقدحون فى صحة النـــسبة للإمام وفى هذا تجسيد لاحترام آل البيت وتوقير قدرهم وتنزيههم عما لا يليق بمقامهم الكريم لدى أهل السنة.

فعند تناول القرطبى لقصة ابنى آدم قابيل وهابيل يورد ما نسب للإمام جعفر من قول غريب ثم يعقب عليه القرطبى بأن هذا لا يصح نسبته للإمام فيقول رحمه الله:"روي في هذا الباب عن جعفر الصادق: إن آدم لم يكن يزوج ابنته من ابنه، ولو فعل ذلك آدم لما رغب عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى لما أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما ولدت حواء بنتا فسماها عناقا فبغت، وهي أول من بغى على وجه الأرض، فسلط الله عليها من قتلها، ثم ولدت لآدم قابيل، ثم ولدت له هابيل، فلما أدرك قابيل أظهر الله له جنية من ولد الجن، يقال لها: جمالة في صورة إنسية، وأوحى الله إلى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه.

فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حورية في صفة إنسية وخلق لها رحما، وكان اسمها بزلة، فلما نظر إليها هابيل أحبها، فأوحى الله إلى آدم أن زوج بزلة من هابيل ففعل. فقال قابيل: يا أبت ألست أكبر من أخي ؟ قال: نعم. قال: فكنت أحق بما فعلت به منه ! فقال له آدم: يا بني إن الله قد أمرني بذلك، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فقال: لا والله، ولكنك آثرته علي.

---

(٢٣) القرطبى ١/ ١٣٣.

فقال آدم: " فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بالفضل ".

قلت: هذه القضية عن جعفر ما أظنها تصح، وأن القول ما ذكرناه من أنه كان يزوج غلام هذا البطن لجارية تلك البطن. والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى: " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء "[٢٤] وما روي عن جعفر – من قوله: فولدت بنتا وأنها بغت – فيقال: مع من بغت ؟ أمع جني تسول لها ! ومثل هذا يحتاج إلى نقل صحيح يقطع العذر، وذلك معدوم.[٢٥]

فتأمل هذا الحوار الهادئ والذى انتهى بتنزيه ساحة الإمام أن يقول مثل هذا الكلام الذى لا حجة عليه فهو من المنسوب خطأ أو جهلا للإمام.

وعند تفسير قوله تعالى:" للذكر مثل حظ الأنثيين"[٢٦] يورد بعض المفسرين قولا للإمام جعفر ويذيلونه بالحكم عليه بأنه لا يصح:" وروي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أن حواء عليها السلام أخذت حفنة من الحنطة وأكلت وأخذت أخرى وخبأتها ثم أخرى ودفعتها إلى آدم عليه السلام فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الأمر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ذكره بعضهم ولم أقف على صحته "[٢٧] وهكذا يتعامل العلماء مع ما ينقل عن الإمام فى جو من الهدوء العلمى بعيدا عن الصخب والضجيج.

وفى تفسير قوله تعالى:" تبت يدا أبى لهب وتب.....وامرأته حمالة الحطب "[٢٨] يتكرر المشهد مع الألوسى فيقول:" هي أم جميل بنت حرب أخت

---

(٢٤) النساء ١ .

(٢٥) القرطبى ٦/ ١٣٥ اللباب ونسبه الى القرطبى ٦/ ٤٠.

(٢٦) النساء ١١.

(٢٧) الألوسى ٣/ ٤٤٨ ، الرازى ٥/ ٨١، ابن عادل ٥/ ٥٢ ، النيسابورى ٢/ ٤٤٦.

(٢٨) سورة المسد .

أبي سفيان، أخرج ابن عساكر عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضي الله تعالى عنهما أن عقيل بن أبي طالب دخل على معاوية فقال معاوية له: أين ترى عمك أبا لهب من النار، فقال له عقيل: إذا دخلتها فهو على يسارك مفترش عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولا أظن صحة هذا الخبر عن الصادق لأن فيه ما فيه".[٢٩]

فالألوسى ينزه ساحة الإمام أن يروى مثل هذا الكلام الذى لا يليق بمقام آل البيت أن يتلبسوا به.

وعند تفسير قوله تعالى:" ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين"[٣٠] يقول أبو حيان فى بحره المحيط:" الرطب واليابس وصفان معروفان والمراد العموم في المتصف بهما، وقد مثل المفسرون ذلك بمثل. فقيل: ما ينبت وما لا ينبت. وقيل: لسان المؤمن ولسان الكافر. وقيل: العين لباكية من خشية الله والعين الجامدة للقسوة، وأما ما حكاه النقاش عن جعفر الصادق أن الورقة هي السقط من أولاد بني آدم والحبة يراد بها الذي ليس بسقط، والرّطب المراد به الحيّ واليابس يراد به الميت فلا يصح عن جعفر وهو من تفسير الباطنية لعنهم الله."[٣١]

فعلماء أهل السنة أدركوا حقيقة مقام الإمام جعفر وخطورة التدليس عليه والافتراء عليه فتتبعوا كل ما هو باطل نسبته إليه ففضحوا أمره وكشفوا كذبه منزهين بذلك ساحة أحد رجالات آل البيت من التقول والاختلاق والافتراء.

- بعض المفسرين من أهل السنة يقدمون قول الإمام جعفر على غيره تقديما مطلقا طالما كان لهذا الرأى وجاهته، فهذا الإمام الألوسى رحمه الله عند تفسير قوله تعالى:" ليكون للعالمين نذيرا "[٣٢] يورد قول الإمام جعفر أن

---

(٢٩) الألوسى ٢٣/ ١٧٤.

(٣٠) الأنعام ٥٩ .

(٣١) البحر المحيط ٢/ ١٦٦.

(٣٢) الفرقان ١.

النبى مرسل للإنس فقط فيقول:" وقيل هم الإنس لقوله تعالى: { أَتَأْتُونَ الذكران مِنَ العالمين} وهو المنقول عن جعفر الصادق والمأخوذ من بحر أهل البيت ورب البيت أدرى. ولعل الوجه فيه الإشارة إلى أن الإنسان هو المقصود بالذات من التكليف بالحلال والحرام وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام(٣٣) ولعل القارئ الكريم لاحظ هذا الأدب الجم الذى تحلى به الألوسى فى هذا المقام فيقول ورب البيت أدرى.

المسألة الثانية: حسن معايشته لكتاب الله.

إن الله تعالى أمر عباده بتدبر كتابه العزيز بل نعى على هؤلاء الذين يمرون على الآيات ولا يتدبرونها:" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها".(٣٤)

فالمسلم مطالب بالوقوف عند كل آية وتدبرها واستنطاق ما فيها أحكام وعبر ودلائل، فمن أجل هذا نزل القرآن، ولم ينزل لمجرد القراءة الجوفاء.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يستشعرون عظمة القرآن ويقفون مع معطياته، حتى تولّدت لدى كل منهم قناعة بأن القرآن جاء مخاطبا له دون غيره، فكانوا يسقطون القرآن على أعمالهم وسلوكهم، فعندما نزل قول الله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ "(٣٥) فأصبح بعض الصحابة يتهم نفسه بأن الآية الكريمة ما نزلت إلا بسببه، وهو قمة الإيمان وصدق المعايشة لكتاب الله.

ولما كان الإمام جعفر وارث بيت النبوة، وتربى على هذه المبادئ فنرى أن الإمام يسمع القرآن بأذن ثاقبة، وكأنه يسمعه مباشرة من الله تعالى، وهذا ما

---

(٣٣) روح المعانى للألوسى ١/ ٥٣.

(٣٤) محمد ٢٤.

(٣٥) الحجرات ٢.

صرح به فى بعض النصوص. ينقل الشيخ الشعراوى فى خواطره عن الإمام جعفر فى قول الله سبحانه: { حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }[٣٦]: " الإمام جعفر الصادق كان من أفقه الناس بالقرآن، وكان من أعلمهم في استنباط أسرار الله في القرآن، فيقول: عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله: { حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } إنه بنظرته الإيمانية يتعجب لإنسان أدركه الخوف ثم لا يفزع إلى هذا القول الكريم { حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }، ثم يستنبط بإشراقاته سر هذا فيقول: لأني سمعت الله بعقبها يقول: { فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ } وانظروا إلى قول سيدنا جعفر الصادق: " فإني سمعت الله بعقبها " هو قرأ بنفسية المؤمن الصادق، فالمؤمن حين يقرأ كلام الله إنما يستحضر أنه يسمع الله يتكلم إنه يقول: فإني سمعت الله بعقبها يقول: { فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ } ولذلك فالحق يقول:{ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[٣٧]

ويواصل الإمام جعفر قوله في علاج النفس البشرية فيقول: وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قول الله:{ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ }

فإني سمعت الله يعقبها بقوله:{ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فعسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ }[٣٨]

وفى تفسير القرطبى لقوله تعالى:" لئن شكرتم لأزيدنكم " ينقل عن الإمام قوله:" إذا سَمِعَتْ النعمة الشكر فتأهب المزيد " [٣٩]

فالإمام يعيش مع الآية وما تحويه من عطاءات، فهو يلقى السمع للقرآن فيسبَح فى بحار عطاءاته:" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

---

(٣٦) آل عمران ١٧٣.

(٣٧) الأعراف ٢٠٤.

(٣٨) الكهف: ٣٩-٤٠.

(٣٩) القرطبى ٩/ ٣٤٣.

وَهُوَ شَهِيدٌ"(٤٠) فالإمام رحمه الله تعالى لايقف عند حد الألفاظ الظاهرة ولكن يسمعه من ربه مباشرة ولذا يرى فيها ما لا يراه غيره ففى قول الله تعالى:" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ".(٤١)

تكلم المفسرون فى علة هذا الترتيب الذى جاءت به الآية بما فتح الله عليهم فيها، والإمام جعفر الصادق رحمه الله كانت له رؤية خاصة فى هذا الترتيب تدل على صدق المعايشة وحسن التدبر والتفهم لكلام رب العالمين فيقول:" بدأ بالظالمين إخبارا بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثر فى الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد من مكره، وكلهم فى الجنة "(٤٢) فالإمام أسقط ترتيب الآية للأصناف الثلاثة على واقع حالهم ودرجة قربهم من الله، وفيه من الإشارة واللطائف ما لا يخفى على من تدبر.

والأمثلة على حسن معايشة الإمام لكلام رب العالمين كثيرة ومنها ما روى عنه فى تفسير قوله تعالى:" اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ "(٤٣)

حيث قال رحمه الله:" اللطف فى الرزق من وجهين: أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات، والثانى: أنه لم يدفعه لك مرة واحدة "(٤٤)

---

(٤٠) ق ٣٧.

(٤١) فاطر ٣٢ .

(٤٢) راجع قول الإمام فى تفسير البغوى ٦/ ٤٢٢، تفسير الخازن ٢٣٨/٥ وتفسير حقى ٢٨٥/١١.

(٤٣) الشورى ٢٠ .

(٤٤) راجع قول الإمام فى تفسير البغوى ٧/ ١٨٩، تفسير اللباب لابن عادل ١٤/ ٧٨.

فما يراه الناس نقمة وهو عدم نزول الرزق دفعة واحدة، فالإمام هنا يراه نعمة، وكثير من الناس يغفل عن هذه النعم لأنه يرى الأشياء بعَيْنِ العجلة، ولا شك أن قدر الله تعالى له وجهة أخرى هى أحرى بالتسليم لها.

أما الحروف المقطعة وهى تربة خصبة للتدبر حيث إنها من المتشابهات التى لا تحتمل قولا واحدا ولم يتفق المفسرون على المراد منها فنرى للشيخ فيها وقفات إن دلت فإنما تدل على صدق المعايشة وحسن التفاعل مع كلام رب العالمين، ورؤية الله من خلال نصوص كتابه بل إن الإمام صرح بهذا فقال عند قوله تعالى:" ذلك الكتاب لا ريب فيه "[٤٥] قال جعفر الصادق: (والله لقد تجلّى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكن لا يشعرون). وقال أيضاً: وقد سألوه عن حالة لحقَته في الصلاة حتى خرّ مغشيّاً عليه، فلما سُرِّيَ عنه، قيل له في ذلك فقال: (ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته)[٤٦]. وهنا يقف المتأمل مشدوها من صدق هذا الرجل مع الله تعالى، وكيف أنه استحق ما لقب به من الصدق.

وفى الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة ينقل عنه الإمام الألوسى فيقول:" وقد قال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه في الألف ست صفات من صفات الله تعالى الابتداء والله تعالى هو الأول والاستواء والله تعالى هو العدل الذي لا يجور والانفراد والله تعالى هو الفرد وعدم الاتصال بحرف وهو سبحانه بائن عن خلقه وحاجة الحروف إليها مع عدم حاجتها وأنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني ومعناها الألفة وبالله تعالى الائتلاف، وبقيت أسرار وأي أسرار يغار عليها العارف الغيور من الأغيار ".[٤٧]

---

(٤٥) البقرة ٢ .

(٤٦) البحر المديد ١/ ١٥ .

(٤٧) الألوسى ١/ ٨٧.

وهى لا شك رؤية قلبية قبل أن تكون بصرية يرى بها الإمام كلام رب العالمين، ولا عجب أن يذل كلامه بما يفيد أن فى جعبته الكثير والكثير من أسرار الحروف المقطعة لكن يضن بها على غير أهلها لئلا يتأول كلامه على غير المراد. وهى طريقة استعملها كثيرون ممن تبنى فكرة وخشى التصريح بها لئلا تأول على غير المراد كالإمام الغزالى رحمه الله وأمثاله.

المسألة الثالثة: القراءات عند الإمام.

علم القراءات من العلوم شديدة الصلة بكتاب الله، ولا ينبغى لمن تصدى لبيان مراد الله أن يتجاوز القراءات وأهميتها، وذكرت فى ترجمة الإمام أنه كانت له قراءات تفرد بها وعليه قرأ خلق كثيرون منهم الكسائى وحمزة وهما من القراء السبعة الذين أجمع العلماء على اعتماد قراءتهم وتواترها، وقد نقل جمهور من مفسرى أهل السنة قراءات عن الإمام جعفر الصادق نورد هنا طرفا منها مكتفين بما يقوم به الدليل على تضلع الإمام فى القراءات وإليك بعض الأمثلة

- فى قول الله تعالى:"اهدنا الصراط المستقيم "[٤٨] قرأها الإمام جعفر "صراط المستقيم" بالإضافة.[٤٩] وقد عقب الألوسى على هذه القراءة بقوله: "والمتواتر الصراط المستقيم " وهو تعقيب موجز يفيد رد هذه القراءة بأسلوب يتسم بتقدير مقام الإمام جعفر.

وهذه من القراءات التى تفرد بها الإمام ولم يوافقه غيره فيها حسب ما توفر لدى من كتب التفسير فى هذا الموضوع.

- عند تفسير قوله تعالى:"وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله "[٥٠] يورد القرطبى والشوكانى قراءة عن الإمام جعفر:" وقرأ جعفر الصادق

---

(٤٨) الفاتحة ٦.

(٤٩) أورد هـذه القـراءة عن الإمام جعفر الألوسى فى تفسيره روح المعانى ١/ ٧٣، وأبو حيان فى بحره المحيط ١/ ١٨.

(٥٠) آل عمران ١٥٩ .

وجابر بن زيد: " فإذا عزمتُ " بضم التاء. نسب العزم إلى نفسه سبحانه إذ هو بهدايته وتوفيقه، كما قال: " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ".(٥١)

وقد وافق الإمام فى هذه القراءة عدد من القراء ومنهم: أبو نهيك وعكرمة وأبو رزين و أبو مجلز و أبو العالية والجحدري.(٥٢)

وقد ضعّف الإمام الرازى فى تفسيره هذه القراءة وذكر للضعف سببين فقال رحمه الله:" حكي عن جابر بن زيد أنه قرأ فَإِذَا عَزَمْتُ بضم التاء كأن الله تعالى قال للرسول إذا عزمت أنا فتوكل وهذا ضعيف من وجهين:

الأول: وصف الله بالعزم غير جائز ويمكن أن يقال هذا العزم بمعنى الإيجاب والإلزام والمعنى وشاورهم في الأمر فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا

والثاني: أن القراءة التي لم يقرأ بها أحد من الصحابة لا يجوز إلحاقها بالقرآن والله أعلم"(٥٣)

بينما نجد الألوسى يجيز نسبة العزم لله تعالى مستدلا على صحة ذلك بالقراءة الواردة عن جعفر "عزمتُ " بضم التاء، فجعل القراءة أصلا للمسألة فقال:" ومما يؤيد صحة النسبة أنه قرئ فإذا عزمت بضم التاء وهو حينئذ بمعنى الإرادة والإيجاب.(٥٤)

- عند تفسير قوله تعالى:" لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ

---

(٥١) الأنفـــال ١٧ وراجع القراءة فى تفسير القرطبى ٤/ ٢٥٢ ، وتفسير فتح القدير للشوكانى٢/٤١ وتفسير الثعلبى المسمى بالكشف والبيان ٣/ ١٩٢ .

(٥٢) راجـــع زاد المسير ١/ ٤٨٩ والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٥٦٥ والبحر المحيط لأبى حيان ٣/ ٧٩.

(٥٣) مفاتيح الغيب للرازى ٩/ ٥٦.

(٥٤) روح المعانى للألوسى ٤/ ١٤٨ .

أَوْ كِسْوَتُهُمْ "[٥٥] يقول الإمام الألوسى:" وروي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قرأ { أهاليكم } بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالألف وهو أيضاً جمع أهل على خلاف القياس كليال في جمع ليلة.[٥٦]

فالألوسى يورد القراءة عن الإمام جعفر مع توجيهها وبيان أن فيها مخالفة للقياس.وقد أطال ابن عادل فى تخريج قراءة الإمام جعفر فقال فى تفسيره:" وقرأ جَعْفَرٌ الصَّادقُ: " أَهَالِيْكُمْ " بسكونِ الياء، وفيه تخريجانِ:

أحدهما: أنَّ " أَهَالِي " جمعُ تكسيرٍ ل " أَهْلَة "، فهو شاذٌّ في القياس ؛ كـ " لَيْلَةٍ ولياٍل "، قال ابنُ جِني: " أَهَالٍ " بمنزلةِ " لَيَالٍ " واحدها أهلاَة ولَيْلاَة، والعربُ تقول: أَهْلٌ وأَهْلَة ؛ قال الشاعر: [الطويل] وَأَهْلَةِ وُدٍّ سُرِرْتُ بِوُدِّهِمْ.

والثاني: أنَّ هذا اسمُ جمعٍ ل " أَهْلٍ " قال الزمخشريُّ: " كَاللياليِ في جمع لَيْلَة والأَرَاضِي في جمع أَرْضٍ ". وكان قياسُ قراءةِ جعفرٍ تحريكَ الياءِ بالفتحة؛ لخفَّتها ولكنه شَبَّه الياء بالألف، فقدَّر فيها الحركةَ، وهو كثيرٌ في النظْمِ ؛ كقول النابغة:

رَدَّتْ عَلَيْـــهِ أَقَاصِيـــــهِ وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَاةِ فِي الثَّأَدِ

وقول الآخر:

كَـــأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَـــــاعِ القَرِقْ أَيْـدِي جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الوَرِقْ[٥٧]

- وفى تفسير قوله تعالى: "فإنهـم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون"[٥٨] قرأها الجمهور بتشديد الذال فى "يكذّبونك" أى لايعتقدون

---

(٥٥) المائدة ٨٩ .

(٥٦) القـراءة فى روح المعانى للألوسى ٥/ ١١٦، والبحر المحيط ٤/ ١٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٦/ ٢٧٩، والكشاف ١/ ٧٠٦.

(٥٧) اللباب لابن عادل ٧/ ٤٩٧ .

(٥٨) الأنعام ٣٣.

كذبك، وقرأها جعفر الصادق بتخفيف الذال والمعنى أى لا يجدونك كاذبا ووافق الإمام فى هذه القراءة نافع والكسائى والأعمش وغيرهم.(٥٩)

- وفى قوله تعالى:" وكلبهم باسط ذراعيه بالوسيط "(٦٠) قرأ الإمام جعفر "وكالبهم" على زنة اسم الفاعل أى صاحب الكلب كلابن وتامر أى صاحب لبن وتمر.(٦١) وابن عادل والألوسى يجعلان القراءة حجة لمن قال إن ثامنهم كان صاحب كلبهم وليس الكلب نفسه، فهم ثمانية رجال، ولم أجد من وافق الإمام فى هذه القراءة فجلّ المفسرين ممن لم ينسبونها للإمام يذكرون القراءة بلفظ قرئ نسبتها .
- وفى قوله تعالى:" لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"(٦٢) قرأها الإمام جعفر تعزروه بفتح التاء الفوقية وكسر الزاى مخففا،أى تعظموه وتكبروه، ووافقه في القراءة الجحدرى.(٦٣)
- وفى قوله تعالى:" وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا "(٦٤) قرأها الإمام بألف"خالفوا" والمعنى أى لم يوافقـــوا على الغزو، ووافقه فى هذه القراءة أبو زيد، وأبو مجلز، والشعبى، وابن يعمر، وعلى بن الحسين، ووالد الإمام جعفر محمد الباقر.(٦٥)
- وفى مفتتح سورة الأنفال:" يسألونك عن الأنفال" قرأها الإمام بحذف "عن" والمعنى أى: يطلبون منك أن تعطيهم من الأنفال، ووافقه فى هذه القراءة

---

(٥٩) راجع روح المعانى للألوسى ٥/ ٢٧٩ وتفسير اللباب لابن عادل ٨/ ١١٣.

(٦٠) الكهف ١٨ .

(٦١) القـراءة أوردها الألوسى ١١/ ١٨٠، وأبو حيان ٤٢٩/٧، وابن عادل ١٠/ ٤٢٩، والزمخشرى ٤/ ٣، والقرطبى ١٠ / ٣٧٣.

(٦٢) الفتح ٩ .

(٦٣) الألوسى ١٩/ ١٩١، وابن عطية فى المحرر الوجيز ٥/ ١١٤.

(٦٤) التوبة ١١٨.

(٦٥) البحر المحيط ٦/ ٢٤١، مفاتيح الغيب ٨/ ١٧٣، الكشاف ٢/ ٤٨٣، اللباب ٨ / ٣٩٠ ..

سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعلي بن الحسين ووالده الباقر وعكرمة وعطاء وأبو العالية والضحاك وطلحة بن مصرف.(٦٦)

المسألة الرابعة: موقف الإمام من مبهمات القرآن.

- القرآن الكريم لا يسير على وتيرة واحدة فهو يتنقل بين الإجمال والبيان، وبين الإفصاح والإبهام، فتارة يصرح وتارة يوارى ويبهم وفى كل لا يخلو من حكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها، وموضوع المبهمات هو موضوع شديد الصلة بالقرآن الكريم وهو يعنى ببيان ما سكت عنه القرآن الكريم.

ولعل قائلا يقول:إن هذا الأمر علمه لا ينفع والجهل به لا يضر، وإن كانت المقولة يشوبها شيء من الخطأ لأنه فى بعض الحالات يكون لمعرفة ما أبهم فائدة جليلة كتبرئة ساحة شخص بعينه كتلك الحادثة التى رويت فى العديد من كتب التفسير والذى لولا معرفة المبهم فيها لتدنس عرض عبد الرحمن بن أبى بكر فقد اتهمه مروان بأنه نزل فيه قول الله:(وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)(٦٧) ولكن تصدت له السيدة عائشة فبرئت ساحة أخيها وذكرت اسم من نزلت فيه هذه الآية الكريمة.

ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية:" قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا يحيى بن أبي زائدة، عن إسماعيل بن أبي خالد، أخبرني عبد الله بن المديني قال: إني لفي المسجد حين خطب مَرْوان، فقال: إن الله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: أهرقلية؟! إن أبا بكر والله

---

(٦٦) راجع البحر المحيط ٢٩/٦، اللباب ٨/ ١٠٤، وتفسير البغوى ٣٢٥/٣، زاد المسير ٣١٨/٣.

(٦٧) الأحقاف ١٧.

ما جعلها في أحد من ولده، ولا أحدا من أهل بيته، ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده.

فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه: أف لكما ؟ فقال عبد الرحمن: ألست ابن اللعين الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباك؟

قال: وسمعتهما عائشة فقالت: يا مروان، أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا ؟ كذبتَ، ما فيه نزلت، ولكن نزلت في فلان بن فلان. ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها،فجعل يكلمها حتى انصرف".(٦٨)

وهكذا تأكد لدى القارئ المنصف أن هذا العلم لا يخلو من فائدة، وحسبه تعلقه بكتاب الله العزيز.

أما عن موقف الإمام جعفر من مبهمات القرآن الكريم، فالحق أنه لم يتجرأ على المبهمات بكثرة، فكلامه فى المبهمات قليل، ولأنه من علماء آل البيت فيبعد أن يتكلم فى كتاب الله دون علم أو سند قوى، فما قاله فى المبهمات القرآنية لا يبعد أن يكون سمعه من علماء آل البيت ممن سبقوه وأخذ عنهم علمه. وإليك بعض هذه المواطن التى تكلم فيها الإمام عن مبهمات القرآن الكريم.

- عند تفسير قوله تعالى:" وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ "(٦٩) اختلف العلماء والمفسرون فى تحديد المدة التى قضاها سيدنا يونس فى بطن الحوت وقد عرض هذا الخلاف ابن كثير وغيره مشيرا إلى قول الإمام جعفر فى المسألة وأنه قد مكث"جمعة"- أى سبعة أيام - فى بطن الحوت يقول ابن كثير: "واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت، فقيل: ثلاثة أيام، قاله

---

(٦٨) ابن كثير ١٨٧/٤، والبغوى ٢٥٩/٧.

(٦٩) الصافات ١٣٩- ١٤٤.

قتادة. وقيل جُمْعَة قاله جعفر الصادق. وقيل: أربعين يوما، قاله أبو مالك.[٧٠] وهو من مبهمات الزمان.

وهو كلام لا يخاض فيه بمجرد العقل فلا يبعد أن يكون الإمام قد سمع ممن يثق هو بهم ما يعضد ما ذهب إليه.

- عند تفسير قوله تعالى:" فَطَوَّعَتْ لَـــهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.[٧١]

يورد القرطبى وابن القيم قولا عن الإمام جعفر عن موضع قتل قابيل لأخيه هابيل ابنى آدم وأنه كان فى البصرة موضع المسجد الأعظم.[٧٢] وهو من مبهمات المكان.

حتى هنا

- عند تفسير قوله تعالى:" وكان أبوهما صالحا " [٧٣] يورد الألوسى اختلاف الأقوال فى اسم هذا الأب للغلامين اليتيمين ودرجته فيقول:" الظاهر أنه الأب الأقرب الذي ولدهما، وذكر أن اسمه كاشح وأن اسم أمهما دهناً، وقيل: كان الأب العاشر، وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه كان الأب السابع. وأياً كان ففي الآية دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بالأبناء "[٧٤] وهو من مبهمات الأشخاص.

---

(٧٠) ابن كثير ٧/ ٣٨، الألوسى ١٢/ ٤٥٤ .

(٧١) المائدة ٣٠ .

(٧٢) القرطبى ٦/ ١٣٩، زاد المسير ٢/ ١٩٩، البحر المديد لابن عجيبة ٢/ ٢٣٣

(٧٣) الكهف ٨٢

(٧٤) الألوسى ١١/ ٣٦٧ ، ووافق الثعلبى فى تفسيره مذهب الإمام جعفر من انه الأب السابع للأبناء ٦/ ١٨٨

والألوسى يذيل كلامه ونقله عن العلماء بما يفيد أن هذا الخلاف علمه لا ينفع وجهله لا يضر وموطن العبرة فى الآية هو أن صلاح الآباء هو رصيد يخدم الأبناء.

المسألة الخامسة: العقيدة عند الإمام.

لا يسع كل من تصدى لتفسير كلام رب العالمين أن يترك الكلام عن العقيدة، وذلك لأن القرآن هو المصدر الأول للعقيدة الصحيحة، وقضايا العقيدة منثورة فى مواطن عديدة من القرآن الكريم تارة بالتصريح وأخرى بالتلميح، وعلماؤنا يستبطنون الآيات لإخراج منها ما يدعم العقيدة أو يدلل على قضية من قضاياها، ولم يكن إمامنا الإمام جعفر الصادق بمنأى عن هذا التصور فأبرز الجانب العقدى من خلال تناوله لآيات من كتاب الله، وهو ولا شك من أبرز علماء أهل السنة والجماعة ومهما حاول بعض المغرضين من الرافضة أن ينسبوا الإمام إلى المذهب الشيعى فلن يناولوا من قدره كأحد أعلام أهل السنة، وآراؤه فى العقيدة تؤكد ما نقول.

بل إن الإمام يؤثر عنه غضبه من الشيعة فيما يذهبون إليه مما يخالف أهل السنة كسب الصحابة كأبى بكر وعمر وقد نقل هذا عنه الإمام الذهبى فى سيره (٧٥)

أما عن زعم أهل التشيع من انتماء الإمام جعفر لمذهبهم فلا دليل عليه من أقوال الإمام ذاته والأمر لا يعدو أن يكون محض افتراء منهم عليه كعادتهم مع العلماء، كما أن هذا الزعم لا يسوّغ لنا ترك آرائه فى العقيدة وتناولها بالإيضاح والبيان فهو من بعض حقوق الإمام علينا.

وهاك بعض النماذج:

---

(٧٥) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٦٣

- إثبات وجود الله: لو لم يوجد من ينكر وجود الله تعالى لما كان لهذا الكلام فائدة فوجود الله تعالى من البدهيات والمسلمات ولكن اضطرنا للحديث عنها أن هناك من أنكر وجوده تعالى، وقد كان للإمام جعفر طريقة عبّر عنها الرازى بـــ " اللطيفة " فى تقرير وجود الله تعالى بعيدا عن الأدلة النقلية التى قد لا تقنع المنكر لوجود الله أصلا فضلا عن نصوص القرآن، فيقول الإمام الرازى فى مفاتيحه:" واعلم أن للسلف طرقاً لطيفة في هذا الباب، أحدها: يروى أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق رضي الله عنه. فقال جعفر: هل ركبت البحر؟ قال نعم. قال هل رأيت أهواله؟ قال بلى؛ هاجت يوماً رياح هائلة فكسرت السفن وغرقت الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل، فقال جعفر قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح حتى تنجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد؟ قال بل رجوت السلامة، قال ممن كنت ترجوها فسكت الرجل فقال جعفر: إن الصانع هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت، وهو الذي أنجاك من الغرق فأسلم الرجل على يده.(٧٦)

- رؤية الله تعالى: يذهب الإمام مذهب أهل السنة والجماعة من جواز رؤية الله يوم القيامة لمن اختصه الله بهذا الفضل يورد الألوسى فى تفسيره لقول الله تعالى:" وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"(٧٧) قول الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: شتان بين ما تشتهي الأنفس وبين ما تلذ الأعين لأن جميع ما في الجنة من النعيم والشهوات في جنب ما تلذ الأعين كأصبع تغمس في البحر لأن شهوات الجنة لها حد ونهاية لأنها مخلوقة ولا تلذ

---

(٧٦) مفاتيح الغيب للرازى ١/ ٣٧٢، النيسابورى ٤/ ٢٤٥

(٧٧) الزخرف ٧١

عين في الدار الباقية إلا بالنظر إلى الباقي جل وعز ولا حد لذلك ولا صفة ولا نهاية انتهى."[٧٨] فالإمام هنا يجعل لذة العين أعلى مرتبة من شهوة النفس والمقصود بها فى الآية النظر إلى وجه الله الكريم.

كما أشار الإمام إلى رؤية الله تعالى يوم القيامة فى مواطن عديدة ومنها ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:" إن المتقين فى جنات ونهر * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر"[٧٩] حيث قال:" مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق، وهو المقعد الذي يصدق الله تعالى فيه مواعيد أوليائه بأنه يبيح عز وجل لهم النظر إلى وجهه الكريم" [٨٠]

- عموم رسالة النبى ﷺ: عند تناوله لقوله تعالى:" ليكون للعالمين نذيرا " [٨١] ذهب الإمام جعفر إلى أن النبى محمد صلى الله عليه وسلم مرسل للإنس فقط واستدل الإمام على ما ذهب إليه بقوله تعالى فى سورة الشعراء: "أتأتون الذكران من العالمين "[٨٢] حيث يقول الإمام الألوسى فى تفسيره:"{ لِيَكُونَ للعالمين نَذِيراً } وقيل هم الإنس لقوله تعالى: { أَتَأْتُونَ الذكران مِنَ العالمين } وهو المنقول عن جعفر الصادق والمأخوذ من بحر أهل البيت ورب البيت أدرى، ولعل الوجه فيه الإشارة إلى أن الإنسان هو المقصود بالذات من التكليف بالحلال والحرام وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام"[٨٣]

---

(٧٨) روح المعانى للألوسى ١٨/ ٣٩٩

(٧٩) القمر ٥٤- ٥٥

(٨٠) الألوسى ١٩ / ١٠٩، الخازن ٦/ ٢١

(٨١) الفرقان ١

(٨٢) الشعراء ١٦٥

(٨٣) روح المعانى للألوسى ١/ ٥٣

وهذا القول وإن خالف به الإمام جعفر ما اشتهر عند علماء أهل السنة[٨٤] إلا أننا نرى الألوسى رحمه الله يخرج كلام الإمام جعفر على أن المقصود بالرسالة أصلا هم الإنس والجن لهم تبع، وهو تخريج مقبول من الألوسى يترجم ما تحلى به من أدب مع كلام علماء آل البيت مع رفع إيهام التعارض بينه وبين ما اشتهر عند جمهور أهل العلم.[٨٥]

- أحداث الإسراء: كان للإمام جعفر فى أحداث الإسراء والمعراج رؤية أفصح من خلالها عما يعتقده من أن الله تعالى دنا من نبيه ﷺ دنوا يليق بذاته المقدسة، وأن النبى رأى الله تعالى ودار بينه وبين الله حوارا سجّل القرآن منه ما سجّل وسكت عما سكت وعبر الإمام عن هذا كله جامعا بين التلطف والهيبة الإلهية بسياج بديع بحيث لا يطغى بعضهم على بعض فلا التلطف أغرى النبى بما لا يليق ولا الهيبة منعته مما ينبغى، فيقول الإمام فى تفسير قوله تعالى:" فأوحى إلى عبده ما أوحى"[٨٦] ما نقله عنه الإمام الألوسى:" وعن جعفر الصادق عليه الرضا أنه قال: لما قرب الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق سبحانه بغاية اللطف لأنه لا تتحمل غاية الهيبة إلا بغاية اللطف، وذلك قوله تعالى:{ فأوحى إلى عَبْدِهِ مَا أوحى } أي كان ما كان وجرى ما جرى قال الحبيب

---

(٨٤) فقد صرح البيضاوى فى تفسيره ان بعثة النبى تشمل الإنس والجن معا ٤/ ٢٠٥ وكذا الفخر الرازى فى تفسيره ٢٤ / ٤٠

(٨٥) ولم أقف على من وافق الإمام جعفر فيما ذهب إليه ألا أن الإمام أبا حنيفة نقل عنه أنه قال ليس للجن ثواب إذا أطاعو الله سوى النجاة من العذاب ولهم عقاب إذا عصوا، ولعل هذا يعضد ما قاله الألوسى من أن التكليف الكامل من ثواب وعقاب خاص بالإنس دون الجن وهو ما خرّج عليه كلام الإمام جعفر رضى الله عنه. راجع روح البيان لاسماعيل حقى الاستانبولى ط دار إحياء التراث العربى ٦/ ١٣٧

(٨٦) النجم ١٠

للحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه وألطف به إلطاف الحبيب بحبيبه وأسرّ إليه ما يسرّ الحبيب إلى حبيبه فأخفيا ولم يطلعا على سرهما أحداً "(٨٧)

فانظر كيف طوّع الله تعالى الألفاظ للإمام فنظمها دررا تأخذ اللب وتأسر المشاعر مع استحضار كامل لمقام العظمة الإلهية وعدم تفويت الفرصة السانحة لإبراز مقام النبوة ولا عجب فإنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

- أمية النبى ﷺ: من المعلوم أنه دار جدل طويل بين العلماء فى تحديد المقصود بأمية النبى ﷺ وكان للإمام جعفر في هذا المقام نظرة خاصة به حيث ذهب –رحمه الله – إلى القول بان النبى ﷺ كان يقرأ من الكتاب ولكنه لا يكتب وهذا ما نقله عنه الإمام الألوسى فى تفسيره حيث قال:" فقد روي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ الكتابة ولا يكتب " (٨٨) وكذا رواه عنه الإمام الفخر الرازى حيث قال:" وقد جاء في كتاب منسوب إلى جعفر الصادق أنه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب، وإن كان لا يكتب، ولعل هذا كان من معجزاته ﷺ (٨٩)

قلت: وهذا مخالف لما رواه ابن عبد البر فى درره حيث ذكر أن النبى لم يكن يقرأ واستدل بأحداث صلح الحديبية بين النبى وأبي سهيل بن عمرو عندما كتب الإمام على ابن أبى طالب في صدر صحيفة الصلح من محمد رسول الله وقال له سهيل: لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد ولا بد أن يكتب باسمك اللهم فقال لعلي وكان كاتب صحيفة الصلح امح يا علي واكتب باسمك اللهم وأبى عليّ أن يمحو بيده "رسول الله" فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضه

---

(٨٧) روح المعانى للألوسى ١٩/ ٤٩٥

(٨٨) الألوسى ٢٢/ ٣٣٦

(٨٩) مفاتيح الغيب للرازى ١٧/ ١٣٩

علي فأشار إليه فمحاه صلى الله عليه وسلم بيده وأمره أن يكتب من محمد بن عبد الله "[٩٠] ولو كان النبى يقرأ من الكتاب لما قال لعلى: اعرضه علىّ.

بل ذهب الإمام ابن سعد صاحب الطبقات فى كتابه غزوات الرسول وسراياه إلى أن النبى كان يكتب وأورد فى كتابه ما نصه:" أخبرنا سليمان بن حرب، أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما كتب النبي، صلى الله عليه وسلم، الكتاب الذي بينه وبين أهل مكة يوم الحديبية قال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم؛ قالوا: أما الله فنعرفه وأما الرحمن الرحيم فلا نعرفه؛ قال: فكتبوا باسمك اللهم؛ قال: وكتب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في أسفل الكتاب: ولنا عليكم مثل الذي لكم علينا."[٩١]

فانظر إلى تصريح ابن سعد بأن النبى كتب فى نهاية الكتاب: ولنا عليكم مثل الذي لكم علينا، ولعل ابن سعد يقصد أن النبى أمر بكتابة هذه الجملة ونسب إليه مجازا، فقد ينسب الأمر للآمر به من باب التجوز وهو من دروب البلاغة، ولكن يبقى أن العلماء اختلفوا فى تحديد المراد بأمية النبى كما سبق الإشارة إليه من قبل.

- شفاعة النبى: الإمام جعفر يؤكد ويوقل بشفاعة جده صلى الله عليه وسلم فى العصاة من المسلمين الموحدين.

يورد الإمامان الرازى والنيسابورى فى تفسيرهما لقوله تعالى:" ولسوف يعطيك ربك فترضى ":" وهذه الآية دلت على أنه تعالى يفعل كل ما يرضاه الرسول فتحصل من مجموع الآية والخبر حصول الشفاعة، وعن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: رضاء جدي أن لا يدخل النار موحد "[٩٢]

---

(٩٠) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ١/ ١٩٣

(٩١) غزوات الرسول وسراياه لابن سعد ١/ ٥١

(٩٢) الرازى ١٧/ ٧٥، النيسابورى ٧/ ٣٥٣

- ميراث النبوة: فى تفسير قوله تعالى:" يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا "[٩٣] قال الإمام جعفر بما يتوافق مع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يترك درهما ولا دينارا[٩٤] يقول الإمام الألوسى فى تفسيره للآية:" مذهب أهل السنة أن الأنبياء عليهم السلام لا يرثون مالاً ولا يورثون لماصح عندهم من الأخبار. وقد جاء ذلك أيضاً من طريق الشيعة فقد روى الكليني في الكافي عن أبي البختري عن أبي عبد الله جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن العلماء ورثة الأنبياء وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ بحظ وافر"[٩٥]

وكلام الألوسى لا يفهم منه انه الإمام جعفر من الشيعة ولا يوهمه، فالوصف بالتشيع فى نص الألوسى يعود إلى السند والطريق الذى ذكره الكلينى فى كتابه " الكافى "

- هل النبوة تورّث: عند تفسيره لقول الله تعالى:" أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى...."[٩٦] يرى الإمام جعفر أن أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام ليسوا كلهم أنبياء ووافقه السيوطى فيما ذهب إليه، وهو ما أخذ به الإمام الألوسى فى تفسيره حيث قال:" واختلف الناس في الأسباط أولاد يعقوب هل كانوا كلهم أنبياء أم لا؟ والذي صح عندي الثاني وهو المروي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وإليه ذهب الإمام السيوطي وألف فيه لأن ما وقع منهم مع يوسف عليه الصلاة والسلام ينافي النبوة قطعاً وكونه قبل البلوغ غير مسلم لأن فيه أفعالاً لا يقدر عليها إلا

---

(٩٣) مريم ٦

(٩٤) صحيح البخارى باب الوصايا برقم ٢٥٨٨ من حديث عمرو بن الحارث.

(٩٥) روح المعانى للألوسى ١١/ ٤٤٦

(٩٦) البقرة ١٤٠

البالغون، وعلى تقدير التسليم لا يجدي نفعا على ما هو القول الصحيح في شأن الأنبياء وكم كبيرة تضمن ذلك الفعل وليس في القرآن ما يدل على نبوتهم، والآية قد علمت ما ذكرنا فيها فاحفظ ذلك هديت."[٩٧]

- هل يُعذر الجاهل: من المقرر فى العقيدة الإسلامية أن المكلف لا يؤاخذ على ما صدر منه عن جهالة:" إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"[٩٨] والنبى صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[٩٩] فالخطأ وهو درب من الجهالة تجاوز عنه الله تعالى فلا يؤاخذ به، وهذا ما قرره الإمام عند تناوله لقوله تعالى:" وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا "[١٠٠] حيث ذهب – بعد تقرير أنه ليس لله جد – إلى أن لفظة "جد" هى من قول الجن وليس من قول المؤمنين ولكن صدرت من الجن على سبيل الجهالة وعليه فلا يؤاخذهم بها الله.[١٠١]

المسألة السادسة: الفقه وأصوله عند الإمام.

نستحضر هنا ما أوردناه فى بداية البحث من قول أبى حنيفة عن الإمام جعفر الصادق: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، ورجل كهذا أثنى عليه جهابذة الفقه الإسلامي كأبى حنيفة وغيره لا يتوقع منه أن يمر على الفقه مرور الكرام فلا يترك فيه بصمة واضحة صريحة، وقد كان.

---

(٩٧) روح المعانى للألوسى ٢/ ٢٤

(٩٨) النساء ١٧

(٩٩) السنن الكبرى للبيهقى برقم ١٤٨٧١ باب ما جاء فى طلاق المكره من حديث ابن عباس.وفى المستدرك للنيسابورى كتاب الطلاق برقم ٢٨٠١ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(١٠٠) الجن ٣

(١٠١) راجع قول الإمام عند القرطبى ١٩/ ٨، وفتح القدير للشوكانى ٧/ ٣٢١، واللباب لابن عادل ١٥/ ٥٠٠ ووافق الإمام فيما قال به والده محمد الباقر والربيع.

فشخصية الإمام الفقهية تتجلى وبوضوح من خلال تناوله لآيات من كتاب الله تعالى ولو تتبعنا أقوال الإمام فى الفقه لما وسعنا ولكن التزاما بمنهج البحث نورد فقه الإمام من خلال تفاسير أهل السنة ونقلهم عنه.

وإليك بعض النماذج:

- قرآنية البسملة: الإمام القرطبى يستدل بكلام الإمام جعفر على تقرير أن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها وهذا يقتضى حكما فقهيا وهو قراءة البسملة فى الصلاة من عدمه ولذا أوردت هذه المسألة فى الجانب الفقهى عند الإمام فيقول القرطبى فى تفسيره:" روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال: البسملة تيجان السور. قلت – أى القرطبى –: وهذا يدل على أنها ليست بآية من الفاتحة ولاغيرها.[١٠٢] فكلام الإمام من النصوص المعتمدة لدى العلماء والفقهاء فيستنبطون منها ما يوافق مذهبهم، وهو إنزال لهؤلاء الأعلام منازلهم وتقدير لمقامهم الكريم.
- علة الأحكام:أحيانا ما يصرح الإمام بعلة حكم من أحكام الشريعة كما فى بيانه لعلة تحريم الربا بقوله:" حرم الله الربا ليتقارض الناس"[١٠٣]

وفى علة التعوذ من الشيطان فى بداية القراءة وليس بعد الفراغ منها يقول الإمام ما أورده عنه الرازى حيث قال:" قال جعفر الصادق: إنه لا بدّ قبل القراءة من التعوذ، وأما سائر الطاعات فإنه لا يتعوذ فيها، والحكمة فيه أن العبد قد ينجس لسانه بالكذب والغيبة والنميمة فأمر الله تعالى العبد بالتعوذ ليصير لسانه طاهراً فيقرأ بلسان طاهر كلاماً أنزل من رب طيب طاهر."[١٠٤]

---

(١٠٢) القرطبى ١/ ٩٣

(١٠٣) أورده أبو حيان فى البحر المحيط ونسبه للإمام جعفر ٣/ ٨٥

(١٠٤) مفاتيح الغيب ١/ ٨٦

فالإمام له كلام كثير فى بيان علة الأحكام أوردت منه ما يقوم به الدليل.

- حرمة يوم الجمعة: من المقرر أن الله تعالى نهى عن البيع فور النداء بالأذان من يوم الجمعة ولكن اختلف الفقهاء إلى أى وقت يمتد هذا التحريم فمنهم من حده بالفراغ من الصلاة ومنهم من أوصله لوقت لعصر وقد تفرد الإمام جعفر بالقول بأن تحريم المعاملات ممتد حتى فجر صبح يوم السبت وقد أورد الإمام أبو حيان طرفا من هذا الخلاف حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى:" إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع "(١٠٥):" ووقت التحريم من الزوال إلى الفراغ من الصلاة، قاله الضحاك والحسن وعطاء. وقال ناس غيرهم: من وقت أذان الخطبة إلى الفراغ، والإشارة بذلكم إلى السعي وترك البيع، والأمر بالانتشار والابتغاء أمر إباحة، وفضل الله هو ما يلبسه في حالة حسنة، كعيادة المريض، وصلة صديق، واتباع جنازة، وأخذ في بيع وشراء، وتصرفات دينية ودنيوية؛ فأمر مع ذلك بإكثار ذكر الله. وقال مكحول والحسن وابن المسيب: الفضل: المأمور بابتغائه هو العلم. وقال جعفر الصادق: ينبغي أن يكون فجر صبح يوم السبت، ويعني أن يكون بقية يوم الجمعة في عبادة.(١٠٦) وهذا الرأى للإمام من فرائده ولم أقف على أحد من الفقهاء وافقه فيما ذهب إليه.

المسألة السابعة: اللغة عند الإمام:

القرآن الكريم نزل باللغة العربية التى يعرفها العرب ويفهمونها وقد اماتن الله على عباده بنزول القرآن بلغة يعرفونها:" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم "(١٠٧)

---

(١٠٥) الجمعة ١٠

(١٠٦) البحر المحيط ١٠ / ٢٧٤

(١٠٧) ابراهيم ٣

وقال عن القرآن الكريم:" بلسان عربى مبين "[١٠٨]، وعليه فاللغة العربية بكل فروعها من أدب وبلاغة وتصريف وخلافه هى الباب الشرعى والمدخل الرئيسى لفهم كتاب الله تعالى وهى مورد ورافد أصيل من الروافد التي تساعدنا في الوقوف على المراد من كلام رب العالمين، وروى عن عكرمة قال: ما سمعت ابن عباس فسَّر آية من كتاب الله عز وجل إلاّ نزع فيها بيتاً من الشعر، وكان يقول: إذا أعياكم تفسر آية من كتاب الله، فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر ومنهُ تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وحديث صحابته والتابعين".[١٠٩]

ولذلك اشترط العلماء فى المفسر أن يكون عامل باللغة ملما بشتاتها آخذا بأطراف الشعر يقول الإمام السيوطى رحمه الله فى إتقانه فى سياق الحديث عن شروط المفسر:" ومنها: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي وهذا قد ذكره جماعة ونص عليه أحمد في مواضع، وروى البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا [١١٠].

وبعد: فلم يكن الإمام جعفر عن حلبة اللغة وعلومها فهو الفقيه المفسر المحدث العلامة وهذا كله لم يجتمع له إلا بعد تضلعه فى علوم اللغة العربية ونسوق بعض النماذج التى تظهر وتبين مكانة الإمام جعفر فى مجال اللغة:

---

(١٠٨) الشعراء ١٩٥

(١٠٩) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ٦٤

(١١٠) الإتقان فى علوم القرآن ٤/ ٢٠٩

- الإمام يسوى بين الحمد والشكر:

نقل الإمام ابن كثير فى تفسيره للبسملة فى فاتحة الكتاب عن الإمام جعفر أنه يسوى بين الحمد والشكر فقال:" وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما- أى الحمد والشكر - سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية"[١١١] وكذا نقله عنه الإمام القرطبى فى تفسيره وعلق عليه بأن هذا المذهب غير مرضى [١١٢]

ومعلوم اتفاق العلماء على أن الحمد غير الشكر، فالحمد يخص اللسان والشكر غالبا ما يكون باستعمال نعم الله فيما شرع الله وقيل غير ذلك، ولعل الإمام جعفر لا يقصد تطابقهما، وإنما فقط جواز تفسير الحمد بالشكر إذا لم يتعاقبا والعكس، ومعلوم أن هناك من الألفاظ ما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

- الإمام لا يقول بالتكرار فى القرآن الكريم:

ذهب الإمام جعفر مذهب جمهور العلماء من القول بعدم التكرار فى القرءن الكريم وحيث ورد ما يوهم خلاف ذلك فنراه يجتهد لتخريجها بما يتفق ومذهبه من القول بعدم التكرار ففى تفسير قوله تعالى:" شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "[١١٣] وحيث وردت كلمة التوحيد مرتين فإن هذا لم يثن الإمام عن قوله بعدم التكرار فهما وإن تكررت حروفهما وكلماتهما إلا أن لكل منهما معنى غير موجود فى الأخرى فيقول القرطبى:" لا إله إلا هو العزيز الحكيم: كرر لأن الأولى حلت محل الدعوى، والشهادة الثانية حلت محل الحكم.

---

(١١١) ابن كثير ١/ ١٢٨

(١١٢) القرطبى ١ / ١٣٣

(١١٣) آل عمران ١٨

وقال جعفر الصادق: الأولى وصف وتوحيد، والثانية رسم وتعليم، يعني قولوا لا إله إلا الله العزيز الحكيم."[١١٤]

فالإمام خرج هذا التكرار الظاهرى على أن الأولى خبر يوصف به الله والثانية إنشاء يؤمر بها العبد.

وفى موطن آخر يعلل الإمام وجود كلمات بعينها مكررة فى أكثر من موطن بأن الكثير لا يتسنى له قراءة القرآن كاملا فضلا عن حفظه فتكرار الحكم أو القضية فى أكثر من موطن يتيح لمن قرأ أو حفظ بعض القرآن أن يقف على جملة من الأحكام القرآنية تكفيه ففى تفسر قوله تعالى:" ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره[١١٥] ينقل أبو حيان فى بحره المحيط عن المهدوى:" كررت هذه الأوامر، لأنه لا يحفظ القرآن كل أحد، فكان يوجد عند بعض الناس ما ليس عند بعض لو لم يكرر. وهذا المعنى في التكرير يروى عن جعفر الصادق، ولهذا المعنى رفع التكرير في القصص "[١١٦]

- الإمام يهتم بعلة التسمية:

من المقرر أن من الأسماء ما يعلل ومنها ما لا يعلل وقد كان للإمام اهتمام بمسألة البحث عن علة للتسمية وإن كان هذا غير مطرد فى كلام الإمام لكن ورد ففى تفسير قوله تعالى:" سنفرغ لكم أيهما الثقلان " [١١٧] يقول الإمام جعفر:" سميا ثقلين، لأنهما مثقلان بالذنوب " وقد نقل هذا القول عن الإمام غير واحد من مفسرى أهل السنة والجماعة. [١١٨]

---

(١١٤) القرطبى ٤/ ٤٣ ، فتح القدير للشوكانى ١/ ٤٢٢، زاد المسير ١/ ٣١١

(١١٥) البقرة ١٥٠

(١١٦) البحر المحيط لأبى حيان ٢/ ٧٦

(١١٧) الرحمن ٣١

(١١٨) القرطبى ١٧/ ١٦٩، فتح القدير ٧/ ١٠٧، البقاعى ٨/ ٣٠٨، اللباب لابن عادل ١٥/ ٤٧

المسألة الثامنة: أقوال الإمام وفرائده:

من المقرر أن الإمام جعفر الصادق رحمه الله من أوعية العلم ورافده فى عصره، أمسك بزمام جملة من العلوم والتى بدورها صقلته وأهّلته أن يكون ذا نظرة ثاقبة ومن المتدبرين لكتاب الله تعالى المعايشين له عن قرب، ولا غرو فهو وارث بيت النبوة، أستاذ جيله ومن بعدهم مصبُّ العلوم وحاويها، ولذلك انهال المفسرون على أقواله فى التفسير ووضعوها موضع الصدارة، وقد أكثر المفسرون من النقل عن الإمام جعفر فى مواطن عديدة متفرقة فى كتبهم وقد حاولت قدر جهدى أن أجمع ما ذكره مفسروا أهل السنة نقلا عن الإمام جعفر وتفرد هو بقوله فلم يرو عن غيره من الأئمة الكبار.

وإليك هذه النماذج:

- عند تفسير قوله تعالى:" فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا "[١١٩]

ذهب جمهور المفسرين[١٢٠] إلى القول بان المراد حكاية نعم الله تعالى على عباده ومنها أن جعل لهم حرما آمنا يأمن فيه الإنسان على نفسه حتى أنهم فى الجاهلية كان الرجل يرى فيه قاتل أبيه ولا يمسك به وفى الإسلام ازدادت حرمته وتأكدت فهى من نعم الله التى امتن بها على عباده::" أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ " ونقل القرطبى[١٢١] عن الإمام جعفر فى هذه الآية نصا لا يبعد عما قاله المفسرون ولكنه يضيف لطيفة وهى اشتراط دخول الحرم على نية الصفاء وبهذا يأمن من دخله صافيا قلبه من عذاب الله يوم القيامة فهو يسقط حكم الآية على الجزاء الأخروى مستدلا على كلامه بحديث لجده

---

(١١٩) آل عمران ٩٧

(١٢٠) راجع الطبرى ٦/ ٢٩ ، البغوى ٢/ ٧١ وابن كثير ٢/ ٧٩ وابن عاشور ٣/ ٢٣٨

(١٢١) القرطبى ٤/ ١٤٢

المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول:" قال جعفر الصادق: من دخله على الصفاء كما دخله الأنبياء والأولياء كان آمنا من عذابه.وهذا معنى قوله عليه السلام: (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).[١٢٢]

فالإمام يخص الحكم بجزاء الله يوم القيامة معضدا ما ذهب إليه بدليل من سنة النبى صلى الله عليه وسلم الصحيحة، وفى ذلك لطيفتان:

الأولى: حسن التدبر لكتاب الله تعالى والنظرة الثاقبه لنصوصه.

الثانية: ينبغى على من أتى بقول خاصة فى كتاب الله أن يحمل معه الدليل الصحيح.

وأكد الإمام رأيه فى موضع آخر عند تناوله لقول الله تعالى:" لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين " حيث قال:" من دخله ورقى على الصفا أَمِنَ أَمْنَ الأنبياء"[١٢٣] وقله ورقى على الصفا يحتمل أن يكون المراد جبل الصفا ويحتمل أن يكون صفاء القلب ويرشحه ما ذكرناه عنه فى الموضع الأول.

- فى قوله تعالى:" ن * والقلم وما يسطرون " نقل عنه جمهور المفسرين أن المقصود بـ " ن " هو نهر من أنهار الجنة يقال له نون.[١٢٤]

وقد تبين من خلال الاستقراء لموضع الآية الكريمة عند تفاسير جمهور أهل السنة والجماعة أن هذا الرأى تفرد به الإمام جعفر الصادق ولم ينسب إلى غيره وقد ذكره الإمام النيسابورى فى تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان

---

(١٢٢) رواه البخارى برقم ١٥٢١باب الطيب للجمعة ومسلم برقم ٣٣٥٧ باب فضل الحج والعمرة وأما زيادة والحج المبرور فقد رواها مسلم أيضا برقم ٣٣٥٥ من نفس الباب.

(١٢٣) البحر الحيط ٣/ ٣٣٠

(١٢٤) راجع قول الإمام فى تفسير القرطبى ٢٢٤/١٨، تفسير الألوسى ٢١/ ١٥٣، تفسير أبى حيان ١٠/ ٣١١، وتفسير ابن عادل ١٥، ٣٩٦ .

بصيغة التمريض والتضعيف فقال عند تفسير هذه الآية:" وقيل نهر فى الجنة "[١٢٥] هكذا دون نسبة أو تصحيح أو تضعيف إلا ما كان من صيغة التمريض والتى سبق الإشارة إليها.

وعليه فهذا القول فى معنى "ن" والذى أوردناه عن الإمام جعفر الصادق هو من فرائده التى تفرد بها ولا يتعارض مع نص صريح ولا يخالف عقيدة سليمة فهو قول مقبول من عالم فذ.

- فى قوله تعالى:" إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " [١٢٦] ذهب الإمام جعفر الصادق إلى أن المراد بأنكر الأصوات هو العطسة القبيحة المنكرة [١٢٧]

وهو أيضا من الأقوال التى تفرد بها الإمام ولم ترو عن غيره من المفسرين والأئمة.

- فى تفسير قوله تعالى:" والنجم إذا هوى " [١٢٨] يطالعنا الإمام جعفر بقول جديد فيقول المراد بالنجم فى هذه الآية هو محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بهوى أى نزوله ليلة المعراج من السماء إلى الأرض [١٢٩].

وبعد استقراء لموضع الآية لدى جمهور المفسرين تبين أن هذا القول من فرائد الإمام جعفر فلم يرو عن أحد غيره، وحُقَّ له أن يتفرد بأقوال لا تتعارض مع صحيح المنقول ولا صريح المعقول فهو كما سبق وراث بيت النبوة ومرجع

---

(١٢٥) تفسير الحاكم النيسابورى ٧/ ١٩٢

(١٢٦) لقمان ١٩

(١٢٧) راجع قول الإمام عند البغوى ٦/ ٢٩٠، ابن عادل ١٣/ ١٩، الماوردى ٣/ ٣٣٧، السراج المنير للشربينى ٣/ ١٦٨ .

(١٢٨) النجم ١

(١٢٩) راجع تفير البغوى ٧/ ٤٠٠، الألوسى ١٩/ ٤٧٤، اللباب ١٤/ ٤٣٧.، السراج المنير للشربينى ٤/ ٨٠، القرطبى ١٧/ ٨٣

العلماء والمفسرين، فلله دره من عالم فذ له أقواله السديدة ونظراته الثاقبة فى كتاب رب العالمين، وقد ذكر هذا القول الخازن فى تفسيره دون نسبته إلى قائله فقال:" وقيل النجم هو محمد وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء " [١٣٠]

- فى تفسير قوله تعالى:" فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " [١٣١]

اختلف العلماء اختلافا مطولا حول المراد بالفتنة فى هذه الآية فمن قائل: إن المراد القتل وآخر يقول بأن المراد فتن الدنيا وغير ذلك ويأتى الإمام جعفر فيضع فيها بصمته كما عودنا مع كتاب الله تعالى فيقول بأن المراد بالفتنة هنا أى: تسليط السلطان الجائر [١٣٢] وهى أيضا من فرائد الإمام فى تفسير كتاب الله تعالى.

- وفى تفسير قوله تعالى:" الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان* علمه البيان " تكثر الأقوال فى توضيح المراد بالبيان الذى علمه الله تعالى لآدم عليه السلام ويتفرد الإمام جعفر بقول لم يرو عن غيره من المفسرين ممن تعرضوا لهذا الآية الكريمة فيذهب إلى أن المراد بالبيان هو الاسم الأعظم الذى علم به كل شيء [١٣٣]

- وفى تفسير قوله تعالى:" طسم " ذهب الإمام جعفر إلى أن الطاء المراد بها: شجرة طوبى، والسين: سدرة المنتهى، والميم محمد صلى الله عليه وسلم.[١٣٤] ولا أعلم من خلال استقرائى للآية عند جمهور المفسرين من يروى عنه نفس القول فهو من فرائد الإمام.

---

(١٣٠) تفسير الخازن ٦/ ٢٥٥

(١٣١) النور ٦٣

(١٣٢) انظر تفسير الألوسى ١٤/ ٢٥، أضواء البيان للشنقيطى ٥/ ٥٥٩

(١٣٣) الألوسى ٢٠ / ١١٣، البحر المحيط ٨/ ١٤١

(١٣٤) تفسير القرطبى ١٣/ ٨٩، زاد المسير ٤/ ٤٨٧،

• وفى تفسير قوله تعالى:" ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم " [١٣٥] ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالفضل هو أعمال التجارة أو الإكراء أو ما شابه ذلك مما يتخذه الناس وسيلة للكسب الحلال فى موسم الحج وهو لا حرج فيه قطعا، إلا ان الإمام جعفر رضى الله عنه أبى إلا أن يضع بصمته المميزة فى تفسير كلام رب العالمين فقال:" إن ابتغاء الفضل هنا طلب أعمال أخر زائدة على أعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كإعانة الضعيف وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع وإرواء العطشان " [١٣٦]

واعترضَ عليه القاضي: بأنّ هذا واجبٌ، أو مَنْدُوبٌ، ولا يُقالُ في مِثْله: لا جَنَاحَ عَليكُم فيه، إنَّما يُذكر هذا اللفظ في المُبَاحَاتِ.

وأجاب ابن عادل فى تفسيره عن هذا الاعتراض فقال: لا نُسَلِّمُ أَنَّ هذا اللفظَ لا يُذكرُ إلاّ في المُبَاحَاتِ لقوله تعالى:" فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ" [١٣٧] والقصْرُ مندوبٌ وكما قال تعالى:" إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا "[١٣٨] والطوافُ ركنٌ في الحج، وإنّما أهلُ الجاهلية كانوا يعتقدون أنّ ضَمَّ سَائِرِ الطاعَاتِ إلى الحجِّ، يُوقِعُ خَلَلاً في الحج، ونَقْصاً ؛ فبيَّن اللَّهُ تعالى بقوله:" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ " أنّ الأمر ليس كذلك.[١٣٩] وهى أيضا من فرائد الإمام رضى الله عنه.

---

(١٣٥) البقرة ١٩٨

(١٣٦) النيسابورى فى تفسيره ١/ ٤٨٨، اللباب لابن عادل ٣/ ٤١٢

(١٣٧) النساء ١٠١

(١٣٨) البقرة ١٥٨

(١٣٩) اللباب لابن عادل ٣/ ٤١٢

- فى تفسير قوله تعالى:" إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين " اختلف العلماء فى بيان المراد بالضر وتفرد الإمام بأن المراد به هو انقطاع الوحى عنه أربعين يوما فخاف هجران ربه، فقال مسنى الضر [١٤٠]
- فى تفسير قوله تعالى:" واجعلنا للمتقين إماما " ذكر المفسرون أقوالا متعددة فى بيان المراد بالإمامة وذاكروا فيها أوجها:

أحدها: أمثالا، قاله عكرمة.

الثانى: قادة إلى الخير، قاله قتادة.

الثالث: أئمة هدى يُهْتدى بنا، قاله ابن عباس.

الرابع: نأتم بمن قبلنا حتى يأتم بنا من بعدنا، قاله مجاهد.

الخامس: رضاً، قاله جعفر الصادق.

فتفرد الإمام جعفر بهذا القول ولم يرد عن غيره .[١٤١]

المسألة التاسعة: النزعة الصوفية لدى الإمام جعفر:

عندما يذكر مصطلح الصوفية يعترى بعض الناس شعور خاص بالرفض لكل ما يأتى بعد هذه الكلمة، مهما كان حظها من الصواب، والحقيقة الذى لا مرية فيه كما يقول الإمام على:" لا تعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله "[١٤٢]

فليس كل ما ورد على لسان الصوفية فهو باطل، أو مشكوك فى صحته، بل أحيانا يُجرى اللهُ تعالى الحقَّ على لسان من يريده سبحانه، فليس من الإنصاف مصادرة رأى بأكلمه بسبب أن قائله ينتمى إلى مذهب بعينه بل قد

---

(١٤٠) النكت والعيون للماوردى ٣/ ٩٠، لطائف الإشارات للقشيرى ٥ / ١٣٩

(١٤١) النكت والعيون ٣/ ٢١١، راجع الأقوال الأخرى فى تفسير ابن جرير ١٩ / ٣١٩، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٠١

(١٤٢) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق حسن القنوجى ط دار الكتب بيروت ١٩٧٨م تحقيق عبد الجبار زكار.

يحرم الإنسان نفسه من خير كثير إذا لم يكن بحَّاثا عن الدرر أينما وجده نشده وهكذا حكمة المؤمن هى ضالته ينشدها أينما يجدها. وفى الحديث:" الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها " [١٤٣] ولهذا نجد أن غالب مفسرى أهل السنة يوردون أقوالا عن أئمة الصوفية أمثال القرطبى وابن كثير والشوكانى والألوسى وغيرهم ما يدخل تحت حصر.

يقول الإمام الغزالى ت ٥٠٥هـ رحمه الله فى مثل هذا المقام:" ظنَّت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام- يعنى بعض كلام المتصوفة- إذا كان مدوناً في كتبهم، وممزوجاً بباطلهم، ينبغي أن يهجر ولا يذكر بل ينكر على كل من يذكره، فسبق إلى عقولهم الضعيفة أنه باطل، لأن قائله مبطل، كالذي يسمع من النصراني قوله: " لا إله إلا الله، عيسى رسول الله " فينكره ويقول: " هذا كلام النصارى "، ولا يتوقف ريثما يتأمل أن النصراني كافر باعتبار هذا القول، أو باعتبار إنكاره نبوة محمد عليه الصلاة والسلام. فإن لم يكن كافراً إلا باعتبار إنكاره، ينبغي أن يخالف في غير ما هو به كافر مما هو حق في نفسه، وإن كان أيضاً حقاً عنده. وهذه عادة ضعفاء العقول، يعرفون الحق بالرجال، لا الرجال بالحق. والعاقل يقتدي بقول أمير المؤمنين " علي بن أبي طالب " رضي الله عنه، حيث قال: لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله، والعارف العاقل يعرف الحق، ثم ينظر في نفس القول: فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله مبطلاً أو محقاً، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من تضاعيف كلام أهل الضلال، ولا بأس على الصراف إن أدخل يده في كيس القلاب وانتزع الإبريز الخالص

---

(١٤٣) سنن الترمذى ٥/ ٥١ برقم ٢٦٨٧ باب فضل الفقه على العبادة، وسنن ابن ماجة باب الحكمة برقم ٤١٦٩

من الزيف والبهـــــرج، ويمنع – من ساحل البحر – الأخرقُ، دون السباح الحاذق "[١٤٤]

فغير لائق بمسلم يملك وسائل الموازنة والترجيح أن يكون أسير مذهب واحد،،أو رافضا بالكلية لكل ما جاء على لسان مذهب واحد، بل الواجب أن يكون ميزانه هو الحجة والدليل فما صح دليله وقويت حجته، فهو أولى بالأخذ والاتباع، وما ضعف سنده، ووهت حجته فهو مرفوض مهما يكن قائله.

والإمام جعفر رضى الله عنه لا شك كانت لديه نزعة صوفية لكنها نزعة مضبوطة بطوابط الشرع، نزعة لها أصل من الكتاب والسنة.

نزعة تحتوى نظريات وعلوم دقيقة، ويمكن القول أن الإمام واحد من أهم منابع وروافد الصوفية الحقيقية التى لا شطط فيها ولا ضلال.

ولا يغرنا اليوم أن بعض المنتسبين إلى التصوف عبئا عليه وعالة على غيرهم فضلا عن سوء فهمهم للعديد من أقوال أسلافهم.

وما نريد أن نقرره هنا بالأمثلة هو أن الإمام جعفر له نزعة صوفية منضبطة بل هى أصل للتصوف المنضبط بضوابط الشرع وإليك بعضا من هذه النماذج التى تؤكد صدق ما نقول.

- فى تفسير قوله تعالى:" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً " [١٤٥] اختلف المفسرون والعلماء فى بيان المراد بالحياة الطيبة وكان للإمام جعفر بصمته الصوفية الواعية حيث ذهب إلى أن الحياة الطيبة هى المعرفة بالله وصدق المقام بين يدى الله " [١٤٦]

---

(١٤٤) المنقذ من الضلال للغزالى ١/ ٣٠

(١٤٥) النحل ٩٧

(١٤٦) راجع قول الإمام فى تفسير القرطبى ١٠/ ١٧٤، وفتح القدير ٤/ ٢٦٢.

وفى قوله تعالى:" أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ "[١٤٧] يؤكد الإمام نفس القول بأن الحياة الحقيقية هى القرب بالله ومع الله والموت يمكن فى الانفصال عن الله والبعد عنه سبحانه فينقل له الإمام الألوسى فى تفسيره قوله:" المعنى أومن كان ميتا عنا فأحييناه بنا وجعلناه إماما يهدى بنور الإجابة ويرجع إليه لضلال " [١٤٨]

فالإمام يميل فى كلامه للنزعة الصوفية لكن دون معارضة أى من نصوص الشريعة الثابتة بل إن ما قاله الشيخ له ما يعضده ويؤكده من نصوص الكتاب والسنة.

- عند تفسير قوله تعالى:" وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ" [١٤٩] يقول الألوسى رحمه الله:" قال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: الشجرة الخبيثة: الشهوات وأرضها النفوس وماؤها الأمل وأوراقها الكسل وثمارها المعاصي وغايتها النار. { يُثَبِّتُ الله الذين ءامَنُواْ بالقول الثابت فِى الحياة الدنيا وَفِى الآخرة } قال الصادق رضي الله تعالى عنه: يثبتهم في الحياة الدنيا على الإيمان وفي الآخرة على صدق جواب الرحمن " [١٥٠]

- عند تفسير قوله تعالى:" لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا " [١٥١] ينقل الألوسى عن الإمام جعفر نصا ينبئ عن صدق معايشة الإمام لكتاب الله واستبطانه بعين قلبه التى ترى ما لا يراه كثيرون، وليس هو من تفسير الباطنية الذين يعتقدون أن القرآن الكريم يراد به غير ظاهره

---

(١٤٧) الأنعام ١٢٢

(١٤٨) تفسير روح المعانى للألوسى ٦/ ٣١

(١٤٩) ابراهيم ٢٦

(١٥٠) روح المعانى ٩/ ٣٨٤

(١٥١) الكهف ١٨

ولكن هو من دقة الفهم وجلاء النفس ورقة الطبع فى مقام التعامل مع كتاب الله تعالى الأمر الذى يجعل القلب مستعدا لفيوض ربه فيمن عليه بما يريد.وما أرى إلا أن الإمام جعفر واحدا من هؤلاء حيث ينقل عنه الألوسى:"{لَوِ اطلعت عَلَيْهِمْ } أي لو اطلعت من حيث أنت على ما ألبستهم من لباس قهر ربوبيتي وسطوات عظمتي { لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ } أي من رؤية ما عليهم من هيبتي وعظمتي { فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا } كما فر موسى كليمي من رؤية عصاه حين قلبتها حية وألبستها ثوباً من عظمتي وهيبتي، وهذا الفرار حقيقة منا لأنه من عظمتنا الظاهرة في هاتيك المرآة كذا قرره غير واحد وروى عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه."[١٥٢]

فيرى الإمام أن الفرار الحقيقى عند رؤية أهل الكهف ليس من سوء مناظرهم ولكن هو فرار من عظمة الله تعالى التى كساهم بها لما صفت نفوسهم، وهى من جنس العظمة والسطوة التى أودعها الله تعالى عصا موسى عليه السلام ففر موسى من هيبة وعظمة الله فما أهل الكهف والعصا سوى مرآة انعكس من خلالها عظمة الله وهيبته.

وعليه يفهم أن عظمة الله يكسوها الله من يشاء من عباده فيهابه الخلق ويسلبها من يشاء فيحقره الخلق ويعضد هذا الفهم قوله تعالى:" إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ "[١٥٣]

---

(١٥٢) الألوسى ١١/ ٢٣٠

(١٥٣) الأنفال ٤٣، ٤٤

• عند تفسير قوله تعالى:" وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ "[١٥٤] يقو الإمام الألوسى:" وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أن المعنى وإذا مرضت بالذنوب فهو يشفيني بالتوبة " ثم يعلق الألوسى على كلام الإمام جعفر بقوله:" ولعله لا يصح وإن صح فهو من باب الإشارة لا العبارة " [١٥٥]

والمقصود من كلام الألوسى أن هذا الكلام لا يقبل إن كان من التفسير الباطنى أما من قبيل الإشارة لهذا المعنى بالإضافة إلى المعنى الظاهرى فلا حرج فى قبوله وهو الواقع لأن كلام الإمام جعفر لا يدل على أن ما قاله فقط هو المراد من الآية دون غيره، فهو من قبيل تعدد الحق وتنوعه.

وعند تفسير قوله تعالى:" ووجدك ضالا فهدى " [١٥٦] يقول الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه:" كنت ضالا عن محبتى لك فى الأزل فمننت عليك بمعرفتى " [١٥٧] والذى يلاحظ أن الإمام جعفر كثيرا ما يؤكد على أن معرفة الله هى الحياة الحقيقية والهداية التى ليس بعدها هداية، أما البعد عنه فهو العدم المحض، وهذا كلام لا يخرج عن صحيح المعتقد السليم فماذا يخسر من وجد الله وماذا يجد من خسر الله ؟

• عند تفسير قوله تعالى:" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا"[١٥٨] يقول الإمام:" عهدنا إلى آدم ألا ينسانا، فنسي واشتغل بالجنة، فابتلى بارتكاب النهي، وذلك أنه ألهاه النعيم عن المنعم، فوقع من النعمة في البلية، فأُخرج من النعيم والجنة؛ ليعلم أن النعيم هو مجاورة المنعم، لا الالتذاذ

---

(١٥٤) الشعراء ٨٠

(١٥٥) روح المعانـــى ١٤/ ٢٥٢، وراجع قول الإمام جعفر فى البحر المحيط ٨/ ٤١١، وابن عطية فى المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧.

(١٥٦) الضحى ٧

(١٥٧) الألوسى ٢٣/ ١٢

(١٥٨) طه ١١٥

بالأكل والشرب. فلا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ما سواه، نسأل الله تعالى أن يمدنا وإياك بالتوفيق والعناية."[١٥٩]

وهذا بدوره يذكرنا بخطاب الله لبنى إسرائيل مقارنة بخطابه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد خاطب الله تعالى بنى إسرائيل مذكرا لها بالنعمة حيث يقول:" يا بنى إسرائيل أذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم...." [١٦٠] بينما خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم مذكرا إياها بالمنعم ذاته فقال:" فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ " [١٦١]وفرق بين تشغله النعمة عن المنعم وبين من ينشغل بالمنعم عن النعمة.

- عند تفسير قوله تعالى:" إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ" [١٦٢] يقول الإمام:" النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم ظلمات الشهوات" [١٦٣] وكلام الإمام وإن كان مختصرا يستطيع العادّ أن يحصيه إلا أنه يخرج من مشكاة الولاية والقرب من الله تعالى.

---

(١٥٩) البحر المديد لابن عجيبة ٤/ ٤٧ ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢ م .

(١٦٠) البقرة ٤٠

(١٦١) البقرة ١٥٢

(١٦٢) الانفطار ١٣، ١٤

(١٦٣) مفاتيح الغيب ١٦/ ٣٩٧، النيسابورى ٧/ ٣٠٣ .

الخاتمـــــــة

وبعد هذه التطوافة السريعة بصحبة علم من أعلام بيت النبوة، ومرجع من مراجع التفسير، ولبنة فى صرح تاريخنا التليد، وارث بيت النبوة، وعاء العلم ورافده، صاحب السؤدد والشرف نستطيع أن نجمل ما توصلت إليه الدراسة فى الآتى:

- أكدت الدراسة على أن أهل السنة والجماعة يدينون لله بحب آل بيت النبى يجلّونهم ويقدرونهم حق التقدير.
- تراث آل بيت النبوة محفوظ لدى كتب أهل السنة ويحتاج إلى من يبرزه للناس.
- أبرزت الدراسة أهمية عدم المبالغة فى حب آل البيت فلا ينسب إليه ما ليس من أقواله اعتقادا بأن هذا يعلى شأنه.
- أكدت الدراسة أن علماء أهل السنة لم يكذبوا أو يتقولوا على أئمة آل البيت كما فعل غيرهم من الشيعة الروافض.
- علماء أهل السنة كثيرا ما يتنصرون للإمام جعفر ويبرئون ساحته عن كل ما ينقص من قدره، وينفون عنه ما يقدح فى شخصيته العلمية القديرة.
- الإمام جعفر كثيرا ما يؤكد على حبه للصحابة أجمعين وعلى رأسهم أبى بكر وعمر، ويعادى من يعاديهم أو ينتقص منهم. بل أوردنا عنه فخره بنسبته لأبى بكر رضى الله عنهم أجمعين.
- الإمام يتمتع بصدق معايشة كتاب الله تعالى وحسن تدبره للقرآن الكريم.
- الإمام جعفر ليس عالة على المفسرين أو غيره من العلماء بل علمه أصيل وقد أوردنا عنه العديد من الأقوال التى تفرد بها ولم ترو عن غيره.

- الإمام جعفر له بصمات واضحة وصريحة فى مجال التفسير والكلام عن مبهمات القرآن الكريم، وكذا اللغة العربية والفقه وأصوله.
- الإمام جعفر كانت له نزعة صوفية من خلال حديثه عن بعض الآيات لكنها نزعة مضبوطة بضوابط الشرع المستقيم.
- تؤكد الدراسة مدى أهمية دراسة تراث آل البيت فأهل السنة هم أولى الناس بآل البيت وتراثهم، حتى يصفو تراثهم بعيدا عن التدليس والتضليل والتقوّل عليهم بغير علم.

المراجع والمصادر

- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق حسن القنوجى ط دار الكتب بيروت ١٩٧٨م تحقيق عبد الجبار زكار.
- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط دار الفكر تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط ١٩٧٤م
- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى ط دار الفكر بيروت ط ١٩٩٥ م
- البحر المحيط لأبى حيان ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م تحقيق عادل عبد الموجود
- البحر المديد لابن عجيبة ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢ م .
- التحرير والتنوير لابن عاشور مؤسسة التاريخ العربى بيروت ٢٠٠٠م
- تفسير ابن جرير الطبرى المسمى بجامع البيان عن تأويل آى القرآن مؤسسة الرسالة تحقيق أحمد شاكر ٢٠٠٠م
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار الفكر ١٩٩٤م تحقيق محمود حسن
- تفسير اللباب لابن عادل ط درا الكتب العلمية بيروت بدون سنة الطبع
- تهذيب التهذيب لابن حجر ط دار الفكر بيروت ١٩٨٤ م
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط دار إحياء التراث العربى بيروت
- حياة الحيوان الكبرى للدميرى ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣م تحقيق أحمد حسن بسج ط ثانية.
- الدرر في اختصار المغازي والسي لابن عبد البر تحقيق د شوقى ضيف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ط أولى ١٩٩٥م
- روح البيان لاسماعيل حقى الاستانبولى ط دار إحياء التراث العربى
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ط دار إحياء التراث العربى بيروت
- السراج المنير للشربينى ط دار الكتب العلمية بيروت
- سنن ابن ماجة ط دار الفكر بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
- السنن الكبرى للبيهقى ط دار الباز بمكة المكرمة ١٩٩٤م تحقيق محمد عبد القادر عطا

- سير أعلام النبلاء للذهبى تحقيق شعيب الأرناؤوط ط مؤسسة الرسالة
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ط دار الكتب العلمية بيروت.
- العبر فى خبر من غبر للذهبى ط الكويت تحقيق طلاح الدين المنجد ١٩٨٤ م
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ط دار ابن الجوزى بالسعودية ١٤٢٢هـ
- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية للشوكانى ط دار إحياء التراث العربى بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ط دار إحياء التراث العربى بيروت تحقيق عبد الرازق المهدى .
- الكشف والبيان للثعلبى ط دار إحياء التراث العربى بيروت ٢٠٠٢م تحقيق ابن عاشور
- لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن ط دا ر الفكر بيروت ١٩٧٩م.
- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣م ط أولى تحقيق عبد السلام عبد الشافى.
- المستدرك على الصحيحين للنيسابورى ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط أولى.
- مسند البزار ط مؤسسة علوم القرآن المدينة ١٤٠٩ هـ
- معالم التنزيل للبغوى ط دار السلام الرياض ١٤١٦ هـ
- مفاتيح الغيب للرازى ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠م ط أولى.
- المنقذ من الضلال للغزالى ط المكتبة الثقافية بيروت تحقيق محمد محمد جابر.
- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسورللبقاعى ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ تحقيق عبد الرزاق المهدى.
- النكت والعيون للماوردى ط درا الكتب العلمية بيروت تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق إحسان حسن ط دار صادر بيروت ط أولى ١٩٩٤م.